كتب ثقافية

آرثر ميللر

البوتقة

أو ساحرات ساليم

ترجمة عبد المنعم الحفني

كتب ثقافية



مسرحية

للكاتب الأمريكي آرثر ميللر

بقلم

عبد المنعم الحفني

البوتقـــــة

THE CRUCIBLE

او ساحرات ساليم

للكاتب الأمريكى
آرثر ميللر

ترجمة وتقديم
عبد المنعم الحفنى

مقدمة

الحديث عن عبقرية آرثر ميلر المسرحية حديث معاد فلقد أثبت ميلر بمسرحياته من أول الأمر أن مستقبلا باهراً ينتظره فى عالم الدراما ، حتى بات اليوم يعتبر من ألمع كتاب المسرح المعدودين فى العالم .

ولقد لمسنا ذلك فيما قرأناه له مترجماً فى مصر أو سمعناه ممثلا فى البرنامج الثانى . . لمسناه فى روايات « وفاة بائع متجول » و « منظر من الجسر » و « كل أبنائى » و « البوتقة » أو ساحرات ساليم التى نقدمها هنا .

ولكن ميلر له مسرحيات أخرى غير ذلك نذكر منها أولى مسرحياته « الرجل الذى له كل الحظ » ومنها كذلك مسرحية « عدو الشعب » عن الكاتب الكبير هنريك إبسن .

وفى كل هذه المسرحيات ظهر اتجاهه الواقعى من اللحظة الأولى . وميلر نفسه يقول عن مفهومه الدرامى : « إن عقيدتى فى الكتابة المسرحية والدراما نفسها هى أنها عمل عضوى » ولكى نوضح ذلك تماما ينبغى أن نفصل الدراما عما نظنه اليوم أدبا . ولا يمكن أن تكون الدراما فى رأينا مجرد نظريات أدبية لمجرد أنها تستخدم كلمات وصوراً شعرية وإيقاعا . فهذه كلها قد تكون أجزاءها الظاهرة ، ولكنها لا يمكن أن تكون كل الدراما . والمسرحية هى العمل الأدبى الذى لا ينفصل عن المسرح الذى صيغت المسرحية لتمثل عليه ، لا أن تكون مجرد أدب مطبوع على ورق للقراءة . ولذلك جاءت مسرحيات ميلر ، حتى عندما نقرأها مكتوبة عملا لا يمكن أن نلمس عبقريته الدرامية إلا إذا رأيناه على المسرح ممثلا فعلا .

وإذا كانت الدراما عند ميلر كائنا عضويا فهى ككل الكائنات العضوية لها بيئة ولعل ما يعرضه ميلر فى مسرحياته من مشاكل بيئية هو مايحببه إلى كثير من الناس لتقارب مشاكل هذه البيئة مع مشاكل معظم بيئات قرائه ، فميلر مكافح ، ولد لأب مكافح كذلك فى مدينة نيويورك فى السابع عشر من أكتوبر سنة ١٩١٥ واشتغل موزع

خبز يصحو فى الرابعة والنصف صباحاً من كل يوم ليوزع الخبز على منازل الحى الذى يعمل فيه قبل أن يذهب إلى المدرسة .

ولقد سجل ميللر هذه الأيام البائسة فى رواية له أسماها « ولد ينمو فى بروكلين » وضمنها بؤسه وشقاءه تلك الأيام . ولم يكن ميللر مرموقاً بين زملائه التلاميذ ولا عند أساتذته حتى أنهم فوجئوا بأعماله الأدبية تتوالى وذهب كل منهم ينقب بين دفاتره ليعثر على بعض كتابات ميللر الصغير ويحاول تذكره .

أما أبوه فنحن لا نعلم عنه شيئاً سوى أنه كان يعمل خياطاً لملابس السيدات وأنه يشبه جو كيللر فى رواية « كل أبنائى » .

ولقد تخرج ميللر من المدرسة الثانوية عام ١٩٣٢ ولم يستطع أن يلتحق بالجامعة فاشتغل عاملا فى مخزن قطع غيار سيارات ليدخر وينال تعليمه الجامعى وهذا هو نفس ما يفعله بيرت فى رواية « ذكرى يوم اثنين » . ثم التحق بعد ذلك بجامعة متشجان وبدأ عمله كمحرر بصحيفة المدينة وفى هذه الجامعة حصل على أول جائزة للتأليف الدرامى برواية ألفها فى أربعة أيام ولم يكن وقتها قد قرأ فى المسرح ولم يكن يعرف كيف تكتب الرواية المسرحية ولا كيف تنتهى ولكنه دخل المسابقة لحاجته إلى المال ولرغبته فى الفوز ليتمكن من دراسة التاريخ والاقتصاد . ومن يومها وميللر يحب المسرح والكتابة له ويتوق للتفرغ لهذه المهنة الخلاقة وفى سبيلها اشتغل سائقاً وجرسوناً وبحاراً .

ولقد كتب ميللر تسع مسرحيات أسماها كلها مسرحيات مكتبية ، أى مسرحيات كتبها ولم يقدر لها إلا أن تظل على المكتب الذى كتبت فوقه .. ولم يقدر له أن يفلح فى الكتابة المسرحية إلا بعد هذه الممارسة والتمرين الطويلين وبعدها كتب مسرحيته التى مثلت لأول مرة على مسرح حقيقى وهى مسرحية « الرجل الذى له كل الحظ » وقصة هذه المسرحية عن شاب يعتقد بأن رغباته لكى تتحقق ولكى يدخل على نفسه السرور بتحقيقها فإنه يجب أن يركب المخاطر وهو يتأمل الناس من حوله ويجدهم قد ملوا الحياة فى حقبة من أحقابها بطريقة أو بأخرى وهو لهذا يعتقد أن دوره قادم فى تحمل نتيجة تحقيقه لرغباته وفى تجرع كأس الحياة المرة وهو ينتظر ولكن انتظاره

يطول ولا تنزل به المصائب بعد وأخيراً يتعجلها ويطلبها ليجربها ويحياها ويعيش أخيراً فى سلام . .

والمسرحية كما لخصتها هنا وليد طبيعى للفترة التى ألفت فيها فهى فترة اتسمت بالأزمات الاقتصادية وجاءت بعد الحرب العالمية الأولى وسحب الحرب العالمية الثانية تتجمع فى الأفق والوظائف والمراكز الاجتماعية كلها من نصيب أصحاب المال والأسر الكبيرة ، والأفكار الاشتراكية تسود وتنتشر فى أمريكا بشكل ملموس ، وزاد من حنق ميللر أن المسرحية سحبت بعد عرضها بأربعة أيام . ونحن نرى أن اتجاهات ميللر سواء عن طريق تفكيره السياسى أو الاقتصادى أو التاريخى كان تفكيراً عالمياً من أول الأمر ولذلك فيللر — ككاتب — يعد عالمياً أكثر منه أمريكيا بعكس أونيل الذى لم يع المسرح الأمريكى نفسه إلا بظهوره . وارتباط ميللر بالمسرح العالمى كارتباط إبسن أوشو أو بريشت مثلا أما ارتباطه بالمسرح الأمريكى فهو عكس ارتباط أونيل أو أوديت أو وايلدر . ولقد اعترف ميللر نفسه أن أكثر الروايات جذرية ليست رواية « فى انتظار ليفتى » ولكنها رواية « امرأة شالوت المجنونة » وأن التعبيرية الألمانية هى أعمق ماأثاره وشده من النظريات الأدبية بعد الحرب العالمية الأولى وأن المسرح فى برودواى ليس هو الذى شجعه ودفعه للكتابة المسرحية ولكنه المسرح العالمى . ولو تأملنا تاريخ ميللر المسرحى لوجدنا أنه مقل الإنتاج وليس هذا عزوفاً منه عن الكتابة للمسرح الأمريكى أو نضوبا أدبياً ولكن ميللر من المفكرين الذين لا يكتبون لجمع المال ولكنهم يكتبون عندما يكون لديهم ما يكتبونه وعندما تؤرقهم فكرة ما وتدفعهم للكتابة دفعاً .

أماقصة البوتقة التى نقدمها هنا فهى قصة من واقع الحياة الأمريكية ولقد مسرحها ميللر بعدما وجد تشابهاً كبيراً بين الفترة التى كانت تحياها أمريكا وقت كتابة هذه المسرحية والفترة التى عاشتها قرية ساليم عام ١٦٩٢ . ولقد ظلت مأساة هذه القرية فى ذهن ووعى الشعب الأمريكى حتى أن كاتبين مسرحيين أخرجا منها مسرحيتين هما « مسرحية طفل » لفلورنس ستيفنسون التى نالت بها جائزة فردريك بكاليفورنيا ، ومسرحية « المأزون على السحرة » للويس كوكس . وقبل هاتين المسرحيتين

كان هناك كتاب بعنوان « الشيطان فى ماسا شوستس » يتناول هذه الحادثة من الناحية التاريخية والنفسية .

والحادثة كما يقول ميلر نفسه تشبه كثيراً ما يجرى حالياً فى مجتمعنا الأمريكى . وإن الإنسان ليحب أن يرى زعماء أمريكا والعالم الحديث يعالجون الوهم بتعقل وشجاعة مثلما فعل شيوخ « ماسا شوستس » ، ولم يكد ينتهى عام ١٩٥٢ حتى قامت فى أمريكا حركة تشبه تماما الحركة التى ظهرت فى ساليم وكان يتزعم هذه الحركة السيناتور الأمريكى المشهور جوزيف مكارثى .

وقصة ساليم هى قصة جماعة من الناس جاءوا إلى أمريكا مهاجرين وعاشوا إخوة طالما جمعتهم المصلحة المشتركة ولكنهم عندما يستقرون تبدأ بينهم الفرقة والطبقية والطمع وجمع المال وتراكمه والتهافت على الثروة فيحقد الواحد منهم على الآخر ويضمر الشر والخبث له ثم ما تبدأ قصة وجود ساحرات فى القرية حتى يلتقطها الحاقدون ويستخدموها للهجوم على أعدائهم والنيل منهم وتتضح المأساة بعمق وروعة عندما رفض جون بروكتور أن يوقع بإمضائه على وثيقة تدين بعضاً من سكان القرية . . لقد صار ضمير الفرد من اختصاص الإدارة كذلك . وكما يقول ميلر . . لقد صار الضمير شيئاً يتناولونه بعضهم البعض ويشكرون بعضهم البعض عليه . . لم يعد مسألة تخص الفرد وحده . . وهذه هى العقدة الدرامية للمسرحية وهى عقدة تشبه عقدة انتيجون لسوفوكل .

ولقد طلب ميلر نفسه ليستجوب أمام لجنة مكارثى ثم طلب منه أن يوقع على وثيقة بأسماء الكتاب الأمريكيين الذين كانوا معه فى اجتماعات الكتاب الشيوعيين سنة ١٩٤٧ ولكن مؤلف البوتقة والفنان الذى رسم شخصية جون بروكتور رفض نفس الشىء الذى عرض على جون بروكتور وأعرض عن حمى الحقد التى كانت تجتاح أمريكا فى ذلك الحين والتى كانت تتهم كل صاحب رأى حر وتنسب إليه نشاطاً معادياً لأمريكا وتلصق به تهمة قلب نظام الحكم الأمريكى . . وانتهزها ميلر فرصة ووجد فيهما موضوعاً لمسرحيته .

لقد كان أهل ساليم يخافون الظروف الطبيعية من حولهم وهم الأغراب فى أمريكا عام ١٦٩٢ .. كانوا يخافون الهنود الحمر والغابة القريبة والأراضى الشاسعة المهجورة من حولهم .. وكانوا متدينين وكانوا يظنون أنفسهم وسط هذا الإلحاد قلعة الله وحماة دين الله ولذلك فقد استقر فى طبيعتهم بعض العناد والمقاومة اللذين تحولا وصارا اضطهادا للآخرين . لقد كان هؤلاء المهاجرون من نسل المضطهدين دينيا فى انجلترا .. هؤلاء الذين هربوا من الاضطهاد الدينى فى انجلترا وجاءوا هنا ليتعبدوا فى حرية . . ولكن الاضطهاد الذى عانوه جعلهم يسنون بعض التقاليد والقوانين لحماية أنفسهم باعتبار أنهم يمرون بفترة عابرة ولكن هذه القوانين والتقاليد صارت حياتهم . وصارت الفترة الانتقالية جزءاً لا يتجزأ من حياتهم كلها ومن ثم بدأوا يمارسون الاضطهاد على أنفسهم . . هذه هى المأساة وهى نفس المأساة التى عاشتها أمريكا أيام المكارثية . . لقد نظرت أمريكا حولها فوجدت نفسها أمام عدو قوى هو الاتحاد السوفيتى ومجموعة من الأصدقاء الضعاف هم الدول الغربية ثم وجدت أنها لكى تحمى نفسها لابد من سن بعض القوانين لمقاومة ما أسمته « النشاط المعادى لأمريكا » وانتهز بعض الحاقدين الفرصة فألفوا لجنة برياسة زعيم لهم يدعى السيناتور مكارثى وأخذت هذه اللجنة تعتقل وتقدم للمحاكمة كل من له نشاط هدام فعلا ولكنها فى حمية الحقد لم تستطع أن تميز بين النشاط الهدام والرأى الحر وصار كل مناد بالإصلاح أو كل صاحب عقيدة تخالف العرف الأمريكى ممن تنسحب عليهم تهمة النشاط المعادى لأمريكا .. وهكذا صار الخوف هو الذى يحكم أمريكا .. الخوف من السوفييت ، والخوف من عملائهم ، والخوف من الحاضر ، والخوف من المستقبل .. وأخيرا تولد الخوف من أنفسهم ضد أنفسهم .. وهذه هى العقدة التى يجب أن يكتب عنها والتى تشبه ما ساد فى أمريكا فى الماضى والتى يجب أن يرفع العلم محذرا مواطنيه من آثارها .

ولكن ميلر عرف عقدة ساحرات ساليم قبل أن تعانى أمريكا من المكارثيه ولقد جرب الكتابة فى هذا الموضوع فى مسرحيتين من المسرحيات التى كان يجرب بها الكتابة للمسرح فى بداية حياته الأدبية .

كتب يقول عن موضوعهما :

إن الأولى عن أخوين من طلبة الجامعة كل منهما يؤمن بالراديكالية ولكنهما على طرف نقيض . والثانية عن ثورة فى سجن ينضم فيها المجانين إلى العقلاء معلنين الثورة ، ثم عالج ميللر نفس الموضوع عندما كان يعد ويعيد كتابة « عدو الشعب » لأبسن فقد أثرت فيه هذه المسرحية حتى بدأ يعالجها من جديد وفى هذا يقول ميللر :

« والفكرة الرئيسية فى حياتنا الاجتماعية الحالية .. هى ببساطة : هل ترفع الضمانات الديمقراطية فى وقت الأزمات السياسية وهل يعاقب الناس إذا أعلنوا فكرتهم عن الحقيقة ؟ هذه هى الفكرة الرئيسية وهى فكرة خالدة لأن كل مجتمع متحضر سيواجه يوما ما فردا يصر على أنه على صواب وأن الناس فى مجموعهم على خطأ . . هل يجب أن يحمى الناس فى هذه الحالة أنفسهم من رأى الفرد ؟ ..

إن العقدة فى الصراع هى أن الفرد يقول : « إنى أظن » أو « إنى أعتقد » وأن الأغلبية تقول كذلك « إنى أظن » أو « إنى أعتقد » . وأفراد البوتقة كلهم يقولون « إنى أظن » أو « إنى أعتقد » .. هذه هى العقدة . إنهم غير متأكدين من شىء وإن المسألة نسبية للجميع ولكنه صراع حول مفاهيم نسبية .

الصراع ليس صراعا حول مفاهيم مطلقة فبروكتور لم تكن له مفاهيم غير مفاهيم مجتمعه وهذا ما نلمسه فى الفصل الثانى عند ما تقص اليزابيث على زوجها ما سمعته من مارى وارن . . .

اليزابيث : لقد هدد المحافظ بشنق الناس إذا لم يعترفوا يا جون ، لقد جنت المدينة فيما أظن .. إن مارى تتكلم عن أبيجال كما لو كانت قديسة « إن من يسمعها يظن ..

بروكتور : أوه يا للسوء ..

اليزابيث .. أعتقد أنك يجب أن تذهب إلى ساليم يا جون . أعتقد ذلك ، يجب أن تقنعهم بزيف ذلك كله ..

ولم تكن لجوكيلر مفاهيم هو الآخر ولكنه قلق وهو دائم السؤال ولا من

عجيب .. وهذا ما نجده أيضا فى ويللى لومان وفى كل مسرحيات ميللر . وهو هنا فى البوتقة عند ما يصرّ القضاة على أن يعترف جون بما يطلبون منه إنما يبين كيف أن القضاة فى هذه الحالة يطلبون « القبض » على ضمير جون .. فالاعتراف من شأن ضمير جون وحده ونسبة اعترافات معينة لجون إنما هى نقل معتقدات أخرى إلى ضمير جون أو نقل ضمير جون إلى القضاة ، ومن أجل ذلك يقول جون بروكتور : « لقد طلبتم روحى وأعطيتها لكم فماذا تريدون الآن ؟ وجون بروكتور على عكس هؤلاء القضاة لا يقول « سأفعل هذا وسأرفض ذلك الذى يفعله الناس » ، ولكن عندما تطلب منه زوجته مقاومة الأفكار الخاطئة يقول : « أظن أنه من السهل إثبات كذبها . سأفكر فى ذلك .. ليس من السهل أن أقول إن المدينة قد جنت » . وبهذه الكلمات نفهم أن جون بروكتور ليست له مفاهيم غير مفاهيم مجتمعه ولكنه صاحب عقل حر وهو يفكر فى المشكلة التى تعرض عليه لحظة العرض لا تفكيراً سابقا على ذلك . وميللر هنا يشبه كثيرا جورج بيرناردشو ، وميللر نفسه يقلد شو عندما يكتب مقدمة طويلة للمسرحية مثلما كان يفعل شو بل ويزيد ويكتب ختاما متتبعا مصير شخصيات الرواية فى النهاية . والبوتقة بالنسبة لميللر كمجموعة مسرحيات شو المعنونة « مسرحيات للبيوريتان » وهى تشبه على وجه الخصوص مسرحية « القديسة جان » وليس ذلك لأن كلا منهما رواية تاريخية دينية تنتهى بمشهد درامى المحاكمة ثم الاستشهاد ولكن لأن كلا من البطلين يحاول أن يفلت من الإعدام « بالاعتراف » ثم فجأة يتبين ما ينتهى إليه هذا الاعتراف وما يتضمنه فيثور ويمزقه ويتم التشابه أيضا بتشابه بعض الحوادث الصغيرة مثل تلك التى يأمر فيها بروكتور خادمته مارى وارين أن تذهب لتنام .

مارى وارين : لن يأمرنى أحد بعد الآن بالذهاب للنوم يا سيد بروكتور ! إنى فى الثامنة عشرة وامرأة مهما كنت لم أتزوج !

بروكتور : فهل تريدين أن تبقى مستيقظة ؟ إذن فابقى مستيقظة !

مارى وارين : لا إنى أريد أن أذهب لأنام !

بروكتور : إذن عمت مساء !

بمثل هذه الطريقة يتحدث المفتش فى محاكمة جان ويأمر ستوجبر أن يجلس

وعندما يرفض الأخير يقول له المفتش « إذا كنت غير راغب فى الجلوس فابق واقفا» وستوجبر هذا يشبه القسيس باريس فى تلمسه للسب فى كلام المتهمين الوجه إلى المحكمة وهو يشبه هال فى الفصل الرابع عندما يتبصر عواقب حماسه . والإختلاف الوحيد الذى نراه بين الاتجاه العام فى رواية شو ورواية ميللر هو أن عنصر الشر فى رواية شو أقل ظهوراً منه فى رواية ميللر فشخصيات دانفورث وهاثورن وباريس غارقة فى الشر ومع ذلك فوجود هال واحترام ميللر لمذاب ضميره يغلب نظرة الخير عند ميللر أكثر منها عند شو.. فشو قد قضى على لون شخصياته بالسواد ولكن ميللر رغم أنه أغرقها فى غياهب الشر إلا أنه أعاد إقامة شخصية هال وقد يرجع السبب فى ذلك إلى غلبة نظرة الخير فى الاتجاه الأمريكى وهو ما يتسم به الأدب الأمريكى من تقليل لوجود عنصر الشر فى الحياة كما يتمثل ذلك فى فلسفة إمرسون عندما يقول « إن الخير هو السائد والشر عارض وليس مطلقاً : إنه كالبرد عارض . . . ليست هناك كذبة خالصة وليس هناك حقد خالص فى الطبيعة » .

وإعلان الاستقلال نفسه يجعل الشر حدثا غير أمريكى والأدب الأمريكى الذى يعيش ويعيش على هذا التراث من التفاؤل أدب يشجع هذه النظرة ويحد من تفضيل الشر . والكتاب الأمريكيون لا يرون الشر بقدر ما يرون الأفعال التى يداخلها الشر وإن ميلفيل وجيمس لأكثر من هوثورن لأن الاولين قادران على فهم الشر فى حين أن الأخير لا يفهمه إلا عن طريق الخطيئة .. ولقد امتاز فولكنر الروائى على معاصريه لأنه كان أقدر منهم على وعى الشر فى الوقت الذى لم يستطيعوا هم أنفسهم تفهمه إلا على أنه سوء وضع نفسى وعفن بيئى .

ولقد كان ميللر ذاتيا عندما كتب رواية « وفاة بائع متجول » ولكنه عند ما كتب « البوتقة » صار موضوعيا وهو نفسه يقول « أردت أن أخلق بطلا ذا ضمير ».

وهكذا يكون ميللر قد اقترب من الإيمان أكثر بالطبيعة الإنسانية التى كتب عنها فى « غير المتلائمين » . ولا يعنى ميللر ببطولة بروكتور بقدر ما يعنى بضميره . وفى حديث له فى ١ كتوبر عام ١٩٥٣ يقول ميللر « إننى أحاول أن أجد طريقة وشكلا ومنهجا لرسم الناس الذين يفكرون » . وبعد ستة شهور من تقديم الرواية على مسارح نيويورك غير ميللر فى النص بأن أضاف مشهدا جديداً قال عنه النقاد

انه جعل المسرحية أكثر قوة وسيولة وشاعرية . وكذلك تناول التغيير دور جون بروكتور فأضاف ميللر إليه قوة فى التفكير لا فى البطولة وهنا تبرز خاصية أخرى من خصائص فن ميللر الدرامى فيللر فى هذه المسرحية وفى غيرها يتميز بحبه لتحديد الشخصيات وعمقها واختلافها وقدرته العجيبة على رسم كل ذلك ولا نرى فى روايته هذه نقيصة واحدة إلا وجود فرانسيس نيرس فى جزء كبير من الفصل الثانى والثالث بلا عمل فهو لم يخرج فى الفصل الثانى ولو أن من المفهوم أنه يخرج مع كورى ولم يذكر دخوله فى الفصل الثالث ولو أنه من المفروض أن يكون موجودا فى الحجرة عندما يأمر دانفورث بإخلائها .

وإنه لشيء رائع حقاً أن نتأمل تغير الإضاءة الطبيعية بتغير المزاج الحدثى فى المسرحية ، فنى الفصل الأول تدخل الشمس من زجاج النافذة المسور ، وفى الفصل الثالث تنسكب الشمس انسكابا من نافذتين علويتين ، وفى الفصل الرابع يتسلل ضوء القمر من نافذة علوية عاكسا قضبانها على الحوائط .

ويقينى أن ميللر فى هذه المسرحية يصل للقمة ويدفع نفسه للامام بحيث يصير ضمن المسرحيين الرواد فى العالم المعاصر والمفكرين الانسانيين الذين يهمهم تطور ضمير الفرد وعلاقته بمجتمعه ويضيفون قيما جديدة لإنسانية الإنسان فى عالم يميل إلى الانتقاص من هذه القيم .

عبد المنعم الحفنى

أشخاص الرواية

(١) باريس
(٢) بتي باريس
(٣) تيتوبا
(٤) أبيجيل وليامز
(٥) سوزانا والكوت
(٦) مسز آن بوتنام
(٧) توماس بوتنام
(٨) مرسي لويس
(٩) ماري وارن
(١٠) جون بروكتور
(١١) ربيكا نيرس
(١٢) جيل كوري
(١٣) جون هيل
(١٤) اليزابيث بروكتور
(١٥) فرانسيس نيرس
(١٦) حزقيال تشيفر
(١٧) مارشال هيريك
(١٨) القاضي هاثورن
(١٩) نائب الحاكم دانفورث
(٢٠) ساره جود
(٢١) هوبكنز

الفصل الأول

حجرة نوم صغيرة فى منزل القسيس صامويل باريس بمدينة ساليم Salem من أعمال ولاية ماساشوستس الزمن ربيع سنة ١٦٩٢ .

وهناك نافذة ضيقة على اليسار تتخلل زجاجها المسور بقضبان الحديد شعاعات الشمس . وعلى اليمين يوجد سرير وإلى جانبه شمعة موقدة . وهناك غير ذلك خزانة ملابس ومقعد ومنضده صغيرة وفى المؤخرة يفتح باب على السلم المؤدى إلى الدور الأرضى . والمنظر تظهر فيه العوارض الخشبية التى تحمل السقف ، كما تظهر ألوان الأخشاب فى الحجرة باهتة قد عفى عليها الزمن . .

يرفع الستار عن القسيس باريس راكعا إلى جوار السرير يصلى . و على السرير ترقد ابنته بيتى باريس ذات العشرة أعوام جامدة لا تتحرك . .

ونحن ولو أننا لا نسمع صلاة القسيس إلا أننا نحس بارتباكه وهو يدمدم ثم يبدو عليه أنه يبكى ثم يبكى بصوت مرتفع ويهدأ ليصلى مرة أخرى . ولا تتحرك ابنته طوال ذلك على سريرها . .

يفتح الباب وتدخل خادمته الزنجية وهى رقيق جاوزت الأربعين من عمرها أحضرها باريس معه من باربادوس عندما كان يعمل هناك تاجرا قبل أن يمتهن الدين . تدخل تيتوبا Tituba وهذا هو اسمها كشخص حيل بينه وبين عزيز عليه ولم يعد يستطيع أن يتحمل هذا الأمر أطول من ذلك ، ولكنها خائفة جدا لأن حاسة الرقيق عندها قد أنذرتها أن المشاكل التى تحدث فى هذا البيت تقع دائما وفى آخر الأمر على رأسها .

تيتوبا : (متراجعة خطوة إلى الخلف) بيتى يا حبيبتى . تشجعى .

باريس : أخرجى من هنا . . .

تيتوبا : (تتراجع إلى الباب) حبيبتى بيتى لن تموت . .

باريس : (يقف على قدميه فى غضب) أغربى عن وجهى (تذهب) ، أغربى عن ...

(تغلبه موجة من الأنين المكتوم فيضغط على أسنانه ويغلق الباب ويستند إليه مكدوداً) آه يا إلهى ساعدنى يارب .

(يعتصره الخوف فيكلم نفسه خلال تشنجاته ويذهب إلى السرير ويتناول يد بيتى فى رقة) بيتى يا طفلتى يا حبيبتى . هلا استيقظت ، هلا فتحت عينيك . . بيتى ياطفلتى ...

(ينحنى ليركع ثانية عندما تدخل ابنة أخته أبيجال وليامز ، وهى

فتاة فى السابعة عشرة من عمرها باهرة الجمال يتيمة وتتمتع بقدرة فائقة على النفاق ولـكنها مهمومة تدرك دقة الظرف وتسلك سلوكا ملائماً .

أبيجال : خالى ؟ (ينظر إليها) وصلت سوزانا والـكوت من طرف الدكتور جريجز .

باريس : آه . . أدخليها أدخليها . .

أبيجال : (تطل من الباب لتنادى على سوزانا التى تقف فى الصالة على بعد خطوات من الباب) تعالى يا سوزانا .

(تدخل سوزانا والـكوت وهى فتاة أصغر من أبيجال، عصبية متسرعة)

باريس : (باهتمام) ماذا يقول الدكتور يا بنيتى ؟

سوزانا : (تحاول أن تلقى نظرة على بيتى) لقد طلب إلىّ أن أخبرك يا سيدى عجزه عن العثور على علاج لمرضها فى كتبه ...

باريس : إذن فواجبه يحتم عليه أن يواصل البحث ويبذل مزيداً من الجهد ...

سوزانا : نعم ياسيدى . لقد ظل يبحث وينقب فى كتبه منذ أن غادرك ولـكن بلا جدوى . لهذا طلب منى أن أقول لك إنه ربما كان سبب مرضها لا يمت بصلة إلى العلم ولـكنه سحر ...

باريس : (تتسع عيناه) لا . لا . لا مجال هنا للسحر ... قولى له أنى أرسلت فى طلب السيد هال Hale قسيس بيفرلى وسوف يؤكد له ما سبق أن ذكرته أنا . ليقصر بحثه على العلم ، وليجد لها دواء ، وليلغى من تفكيره السحر فلا مجال للسحر هنا ..

سوزانا : هذا ما طلب منى أن أبلغك إياه يا سيدى (تدور لتذهب) .

أبيجال : لا تذكرى شيئاً عما دار بيننا فى القرية يا سوزانا ...

باريس : اذهبى إلى بيتك مباشرة ، ولا تقولى لأحد عما سمعته من الطبيب عن هذا السحر .

سوزانا : سمعا ياسيدى . أعنى لبيتى عاجل الشفاء وسأصلى من أجلها (تخرج) .

أبيجال : لقد انتشرت يا خالى شائعة هذا السحر حتى أنى لأظن أنه من الأوفق أن تنزل إلى الناس لتدحضها بنفسك . الردهة مايئة بهم وسأظل أنا معها هنا ...

باريس : (متأثراً ، يلتفت إليها) وماذا أقول لهم ؟ إنى عثرت على ابنتى وابنة أختى ترقصان فى الغابة كـكافرتين ؟ !

أبيجال : لقد رقصنا يا خالى — قل لهم إنى اعترفت — وإنى أقبل أن يضربونى بالسياط جزاءاً وفاقا على فعلتى — ولـكنهم يتحدثون عن السحر ، وبيتى لم تسحر .

باريس : لا أستطيع يا أبيجال أن أقف بينهم أدعى معرفة الحقيقة بينما أنت لم تحيطينى علما بها كلها . . ماذا كنتما تفعلان فى الغابة ؟

أبيجال : كنا نرقص يا خالى وعندما خرجت علينا فجأة من بين الشجيرات وفاجأتنا فزعت بيتى وأغمى عليها ، هذا كل ما حدث ...

باريس : أجلسى يا طفلتى ...

أبيجال : (تجلس وهى ترتعد) وهل كنت أقصد إيذاء بيتى . . إنى أحبها حبا عميقا ...

باريس : ثقى أن الله سيعاقبك على فعلتك ، وسيجىء عقابه فى الوقت المناسب ، ولـكنى أريد أن أعرف ما إذا كنت تتصلين بالأرواح فى الغابة . أريد أن أعرف حالا . سيعرف ذلك أعدائى وسيهاجموننى بما يعرفونه وسيحل بى الخراب لوفعلوا ...

أبيجال : ولـكننا لم نستدع الأرواح أبدا ...

باريس : إذن لماذا هى لا تستطيع الحركة منذ منتصف الليل ؟ إن هذه الطفلة ميئوس منها (تسبل أبيجال عينيها) ... لا بد من الاعتراف — سوف

ينتزعه أعدائى . . صارحينى بما كنت تفعلينه هناك . هل تدركين يا أبيجال أن لى كثيراً من الأعداء ؟

أبيجال : سمعت أن لك أعداء كثيرين يا خالى ...

باريس : لقد أقسموا أن يطردونى من وظيفتى الدينية . هل تدركين معنى ذلك؟...

أبيجال : أظن ذلك يا سيدى . .

باريس : ووسط هذا العداء والجو المليء بالكراهية يكتشفون ابنتى وابنة أختى فى وضع مستهجن شائن يزاولان عملا شاذا مرذولا فى الغابة ...

أبيجال : إن الرقص رياضة يا خالى ...

باريس : (مشيرا إلى بيتى) وهل تسمين هذا رياضة ؟ (تسيل عينيها ..يستعطفها) أبيجال يا ابنتى . . إذا كنت تعرفين شيئاً يساعد الطبيب فى علاجه فبحق الله قولى لى عنه (تسكت) لقد رأيت تيتوبا تلوح بذراعيها فوق النار عندما فاجأتكن . فلماذا كانت تفعل ذلك ؟ لماذا كانت تلوح بيديها ؟ لقد كانت تصرخ وتدمدم وتأتى أصواتا معينة . . كانت تتأرجح فوق النار كحيوان أخرس ...

أبيجال : انها تغنى أغانيها التى تعلمتها فى بار بادوس وكنا نحن نرقص ...

باريس : لا يمكننى أن أتغاضى عما رأيت يا أبيجال . إن أعدائى لن يتغاضوا عنه . لقد رأيت ثوباً ملقى على العشب ...

أبيجال : (ببراءه) ثوب ؟

باريس : (يقولها بصعوبة) نعم ثوب . . وأظن أنى رأيت شخصاً عاريا يجرى متخفيا بالأشجار .

أبيجال : (فى فزع) لم يكن هناك شخص عار . إنك تغالط نفسك يا خالى .

باريس : (بغضب) لقد رأيته (يبتعد عنها ثم يتوقف ليتكلم) قولى الحق يا أبيجال . قولى الحق واشعرى بوطأته فوظيفتى مهددة . وظيفتى وربما

حياة ابنة خالك . أعلميني ما كنتما تفعلانه مهما كانت بشاعته لأني أخاف أن يأخذوني على غرة عندما أواجههم هناك . .

أبيجال : لم يكن هناك شيء — أقسم على ذلك يا خالي . .

باريس : (يتفحص وجهها ثم يومئ برأسه نصف مقتنع) لقد كافحت هنا يا أبيجال ثلاث سنوات طوالا لكي أستميل هؤلاء الناس الغلاظ القلب إلىّ ، والآن عندما بدأوا يحترمونني في الأبراشية — تحرجان مركزي هذا الإحراج . لقد فتحت لك بيتي ، وكسوتك — فهلا شفيت غليلي واعترفت بالصراحة . إن اسمك في المدينة نظيف أليس كذلك ؟

أبيجال : (يظهر في صوتها بعض الكراهية) لماذا ؟! انني موقنة من أنه كذلك يا سيدي . . وليس هناك ما يشين اسمي ...

باريس : (بسرعة) أبيجال — هل هناك سبب آخر غير ما ذكرته لي لطردك من خدمة جودي بروكتور ؟ سمعتهم يقولون ، وأنا أنقل لك ما سمعت ، أنها لم تعد تواظب على المجيء إلى الكنيسة هذا العام لأنها تنفر من الجلوس في مكان واحد يضمكما معا — فما معنى ذلك .. ؟

أبيجال : أنها تكرهني يا خالي . تكرهني لأني رفضت أن أكون خادمتها . أنها امرأة حقود... امرأة كاذبة عديمة الإحساس حقيرة .. إني أرفض أن أكون في خدمة امرأة بهذه الصفات ...

باريس : ربما كانت كذلك ولكني قلق . لقد خرجت من خدمتها منذ سبعة شهور . ولم تطلب أسرة أخرى استخدامك حتى الآن ...

أبيجال : انهم يريدون عبيداً ولا يريدون استخدام أمثالي دعهم يرسلون في طلب من يرغبون فيهم من باربادوس ولكني لن أطلي وجهي بالسواد لكي أعمل عند أي منهم (بكراهية لا تستطيع أخفاءها عنه) فهل تمنّ عليّ بما تمنحني إياه من مكان أبيت فيه يا خالي ؟

باريس : لا . . لا . . .

أبيجال : (فى حدة) ان اسمى بخير فى القرية . ولم يمرغه أحد فى الوحل . ان جودى بروكتور كاذبة ثرثارة ...

(تدخل مسزآن بوتنام . امرأة فى الخامسة والأربعين معقدة تخشى الموت وتحلم كثيراً) .

باريس : (حالما يفتح الباب) لا . لا . لا أستطيع مقابلة زائرين . . (يراها فيلين صوته ولو أنه يظل قلقاً كما كان) . آه جودى بتنام ... ادخلى ...

مسز بتنام : (تلهث وتبرق عيناها) شىء عجيب . انها مصيبة وحلت بك ...

باريس : لا يا جودى بتنام انها ...

مسز بتنام : (تنظر إلى بيتى) إلى أى ارتفاع كانت تطير ؟ إلى أى ارتفاع ؟

باريس : لا . لا . . . انها لم تطر أبداً . .

مسز بتنام : (مسرورة بما تسمع) ولكنها طارت فعلا . لقد رآها مستر كولنز طائرة فوق مخزن انجرسول وتهبط خفيفة كالطيور . هكذا يقول . . .

باريس : والآن اسمى ياجودى بتنام انها لم — (يدخل توماس بتنام مزارع غنى عمل كثيراً بيديه . يقارب الخمسين) آه . صباح الخير يامستر بتنام . .

بتنام : انها نعمة من السماء ان خرج الآن . . انها نعمة من السماء (يذهبون مباشرة إلى السرير)

باريس : ما هذا الذى خرج يا سيدى . ما هذا . .

(تذهب مسزبتنام ناحية السرير)

بتنام : (تنظر إلى بيتى) ان عينيها مغلقتان . انظرى يا آن .

مسزبتنام : شىء غريب (موجهة كلامها إلى باريس) ان ابنتنا عيناها مفتحتان ...

باريس : (مصدوما) هل زوث مريضة ؟ !

مسز بتنام : (بلهجة فيها تأكيد شيطانى) إنى لا أسميها مريضة .إن لمسة الشيطان أثقل من المرض ، نعم انه الموت ينفذ إلى داخلها .. فى التواء وتخفى ..

باريس : أوواه ليبعد الله عنا الشر ... وكيف مرضت روث ..

مسز بتنام : أنها تمرض فى الوقت المناسب . لم تستيقظ هذا الصباح ولكنها ظلت مفتحة العينين تمشى ولا تسمع أو ترى أو تأكل شيئاً . لا بد أن تكون روحها قد أخذت أخذا ..

(يصدم باريس)

بتنام : (كما لو كان فى شوق إلى مزيد من التفاصيل) إنهم يقولون إنك أرسلت فى طلب صاحب القداسة هال قسيس بيفرلى ؟

باريس : (فى ثقة متناقصة) إنه إجراء شكلى . انه رجل مجرب فى فنون السحر وأنا —

مسز بتنام : نعم إنه مجرب ... وكان قد اكتشف ساحرة فى بيفرلى فى السنة الماضية . تذكر ذلك ؟

باريس : انها لم تكن كذلك ياجودى آن . انهم ظنوا ذلك فقط . أنا واثق من أنه ليست هنا عناصر للسحر ...

بتنام : لاسحر .. اسمع يامستر باريس ...

باريس : توماس .. توماس .. أرجوك . استحلفك لاتقفز من الموضوع إلى السحر أعرف أنك .. دون الناس كلهم ياتوماس تتمنى أن تلحق بى هذه التهمة الخطيرة . لا تقفز من الوضوع إلى السحر إنهم سيطردوننى شر طردة من ساليم لو صدقت التهمة على أهل بيتى ..

بتنام : (يصمم على اصطياد باريس لأنه يحتقره ويود أن يلقيه فى الهوة) لقد وقفت إلى جانبك يا مستر باريس فى كل المناقشات التى جرت هنا وسأظل إلى جوارك ولكنى لن أستطيع الصمود طويلا لو أصررت على التراجع . هنالك أرواح مؤذية شريرة تحيط بهؤلاء الأطفال ...

باريس : ولـكنك ياتوماس لن ...

بتنام : آن . اخبرى مستر باريس عما فعلته ..

مسز بتنام : لقد دفنت ياسيدى سبعة أطفال غير معمدين فى القبر . صدقنى يا سيدى إنك لم تر أطفالا أصحاء كما كان أطفالى ومع ذلك كان كل منهم يذوى بين ذراعى فى نفس الليلة التى كان يولد فيها ؟ لم أقل كل شىء ولـكن قلبى كان ينفطر . وجاء دور ابنتى روث هذا العام . ابنتى الوحيدة لقد رأيتها تذبل . أصبحت طفلة غريبة تضم بين جوانحها سراً . وضمرت كما لو كان هناك فم يمتص منها الحياة . ولذلك فكرت فى إرسالها إلى تيتوبا خادمتكم ...

باريس : إلى تيتوبا ! ! وماذا يمكن أن يكون لتيتوبا ..

مسز بتنام : ان تيتوبا تعرف كيف تكلم الموتى يا مستر باريس ..

باريس : انها خطيئة لا تغتفر ياجودى آن .. أن يحاول أحد استنطاق الموتى ..

مسز بتنام : انى مقتنعة معك ولـكن من كان فى مقدوره غيرها أن يخبرنا عمن قتل أطفالى ؟

باريس : (فى اشمئزاز) أيتها المرأة ..

مسز بتنام : انهم قتلوا يامستر باريس وانتبه إلى هذا الدليل . . انتبه إليه ، لقد كادت ابنتى روث تتصل بأرواحهم الصغيرة ليلة أمس .. أنا واثقة مما أقول ياسيدى . والا فكيف تفسر سر صمتها المطبق ما لم تكن قوى الظلام قد أقفلت فمها ؟ انه دليل قاطع يامستر باريس ...

بتنام : ألا تفهم هذا الدليل ياسيدى ؟ هناك ساحرة تقتل أولادنا وتعيش بيننا ولـكنها تعيش فى الظلام (يستدير باريس ناحية بيتى ويتملكه شعور بالفزع) إنك لن تستطيع إخفاء هذه الحقيقة أكثر من ذلك فلتواجهها بشجاعة ولتترك أعداءك يستغلونها كيفما شاءوا .

باريس : (إلى أبيجال) إذن فقد كنت تحضرين أرواحا ليلة أمس ؟...

أبيجال : (هامسة) لم أكن أنا يا سيدى . كانت تيتوبا وروث . .

باريس : (يستدير وقد ملأه فزع جديد) يذهب إلى بيتى وينظر إليها ويحملق أمامه) آه يا أبيجال يالها من طريقة تقابلين بها معروف وإحسانى : لقد انتهيت .. انتهيت ...

بتنام : انك لم تنته . . تشجع يارجل ... لا تنتظر حتى يتهمك أى إنسان — أعلنها بنفسك أعلن للناس أنك اكتشفت سحراً . .

باريس : فى بيتى ؟ فى بيتى ياتوماس ؟ أنهم سيهدمونه بهذه التهمة . سيجعلون منها ... (تدخل مرسى لويس خادمة عائلة بتنام . فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها سمينة ماكرة ...) .

مرسى : أرجو المعذرة . . لقد قدمت من أجل السؤال عن صحة بيتى ...

بتنام : لماذا بارحت البيت ؟ من تركته مع روث ...

مرسى : حضرت جدتها ... وأظن روث قد تحسنت قليلا . كانت تعطس عطساً شديدا ...

مسز بتنام : هذه علامة الحياة ...

مرسى : لم يعد هناك ما يخشى عليها منه . نوبة مماثلة من العطس ويذهب عنها المرض كلية . أنا على ثقة من ذلك (تذهب إلى السرير لتلقى نظرة)

باريس : هلا تركتنى قليلا ياتوماس ، أريد أن أصلى وحدى من أجلها ...

أبيجال : انك تصلى ياخالى منذ منتصف الليل . لماذا لاتنزل إلى الناس فى البهو؟.

باريس : لا . . لا . . (إلى بتنام) لاجواب عندى لهذا الجمهور . سأنتظر حتى يحضر مستر هال (يرجو مسز بتنام أن تذهب) لو سمحت يا جودى آن . .

بتنام : اسمع ياسيدى . . لو أنك أعلنت الحرب على الشيطان فستباركك القرية من أجل ذلك انزل إليهم وحادثهم — صل معهم . أنهم عطشى

لكلماتك ياسيد . يجب عليك أن تصلى معهم .

باريس : (مهزوزا) سأصلى معهم ولكنى أرجو ألا تقول لهم شيئاً عن السحر . لن أناقش هذا الأمر . إن سبب مرض ابنتى مجهول الآن . لقد خضت معارك بما فيه الكفاية منذ تعيينى هنا . لا أريد الدخول فى خصومات أخرى . لاأريد ...

بتنام : آن ! اذهبي إلى روث فى البيت أتسمعين ؟

مسز بتنام : ذاهبة يابتنام (تذهب مسز بتنام)

باريس : (إلى أبيجال) إذا اتجهت إلى النافذة نادنى فى الحال .

أبيجال : حاضر ياخالى .

باريس : (إلى بتنام) إنها تملك قوة فظيمة اليوم (يخرج مع بتنام)

أبيجال : (بصوت مكتوم) كيف مرضت روث ؟

مرسى : انه السحر ... لا أدرى وإنها تبدو فى مشيتها كالميتة منذ أمس ...

أبيجال : (تستديرفى الحال وتذهب إلى بيتى ويرتعش صوتها من الخوف) بيتى ؟ (لاتتحرك بيتى ، تهزها) هلا انتهيت من ذلك . . بيتى انهضى ... (بيتى لاتتحرك . تذهب إليها مرسى ...)

مرسى : هل جربت ضربها ، لقد ضربت روث ضربا مبرحاً فاستيقظت لفترة . هيا . دعينى أضربها .

أبيجال : (ممسكة بمرسى) لا . سيفاجئنا بمجيئه . اسمعى إذا سألونا قولى لهم اننا كنا نرقص . أنا قلت له ذلك .

مرسى : هيا . وماذا أيضاً ؟

أبيجال : إنه يعرف أن تيتوبا استحضرت أرواح أخوات روث من قبرهن . .

مرسى : وماذا أيضاً ؟

أبيجال : ورآك عارية ...

جرسى : (تضرب كفيها ببعضهما وتضحك فى خوف) أوه ياإلهى ...

(تدخل مارى وارين لاهثة فى السابعة عشرة من عمرها . فتاة ساذجة وحيدة)

مارى وارين: ماذا سنفعل ؟ القرية كلها خرجت علينا . لقد جئت توا من المزرعة . البلد كله يتحدث عن السحر سيسموننا ساحرات يا أبيجال .

مرسى : (تشير بيدها إلى مارى وارين) فهمت ماتعنيه ...

مارى وارين: آبى . يجب ان نعترف ... ان السحر خطأ فظيع عقوبته الشنق .. الشنق . الشنق الذى رأيت مثله فى بوسطن منذ سنتين . يجب أن نعترف بالحقيقة يا آبى .. كل ما سيفعلونه هو أنهم سيجلدوننا ...

أبيجال : أوه ..سيجلدوننا ...

مارى وارين : أنا لم أرقص معكن يا آبى . كنت أتفرج عليكن فقط ...

مرسى : (تذهب إلى مارى وارين مهددة) آه إذن فقد كنت تتفرجين : أليس كذلك يامارى وارين يالهـا من شجاعة تلك التى تملكينها لتقفى وتتلصصى علينا .

(بيتى تتقلب على السرير وتتنهد . أبيجال تستدير إليها فى الحال)

أبيجال : بيتى ؟ (تذهب إليها) ياعزيزتى استيقظى . أنا أبيجال (تجلس بيتى على السرير وتهزها بعنف) سأضربك علقة يابيتى (بيتى تئن) يا إلهى انك تتحسنين : لقد تحدثت مع أبيك وأخبرته بكل شىء . لم يعد هناك شىء ...

بيتى : (تمرق من فوق السرير فى خوف من ابيجال وتلتصق بالحائط) أريد أمى .

أبيجال : (فى فزع بينما تقترب من بيتى بحرص) ماذا يؤلمك يابيتى ؟ إن أمك ماتت ودفناها .

بيتى : سأطير لأمى ... دعونى أطير ... (ترفع يديها كما لو كانت تريد أن تطير وتولى ناحية النافذة وتخرج ساقها) .

أبيجال : (تشدها من النافذة) لقد اعترفت له بكل شىء انه يعرف . انه يعرف كل شىء .

بيتى : أنت شربت دما يا آبى ... إنك لم تعترفى له بذلك ...

أبيجال : بيتى ... إياك أن تكررى ما قلته الآن . إياك أن —

بيتى : ولكنك شربت . شربت . شربت السحر كى تقتلى زوجة جون بروكتور . شربت السحر كى تقتلى جودى بروكتور ...

أبيجال : (تصفعها على وجهها) كفى . اخرسى ...

بيتى : (تتكوم على السرير) ماما ... ماما . (تبكى وتتنهد فى حرقة) .

أبيجال : اسمعى . اسمعن كلكن اننا رقصنا . واستحضرت تيتوبا أرواح أخوات روث بتنام . هذا كل ما جرى افهمن ذلك جيداً . لو همست أيكن بكلمة أو حرف من كلمة عن الأشياء الأخرى التى جرت فسأزوركن فى سواد ليلة ليلاء وسأحاسبكن حسابا عسيرا ... وأنتن تعلمن جيداً أنى قادرة على تنفيذ ما أقول . لقد شاهدت هنودا يفلقون رأسى أبوى على وسادتهما بجوارى ، وشاهدت أعمال السحر تزاول فى الليل ، وفى استطاعتى أن أجعلكن تتمنين لو أنكن لم ترين الشمس تشرق على صباحكن (تذهب إلى بيتى وتنهضها فى خشونة) أنت . اسمعى انهضى ... وكفى ما قمت به للآن ...

(ولكن بيتى تضعف بين يديها وترقد فى شبه إغماءة على السرير)

مارى : (فى فزع هستيرى) ماذا ألمَّ بها ؟ (أبيجال تحملق فى فزع فى بيتى) أبى . انها تموت لقد أخطأنا . اثمنا عندما حضرنا الأرواح ونحن ..

أبيجال : (آمرة مارى) قلت اخرسى يا مارى وارين .

(يدخل جون بروكتور . تفزع ماري وارين لدى رؤيته) .

(بروكتور مزارع في منتصف الحلقة الثالثة من عمره قوى الجسم معتدل الطبع لا يمكن إقناعه بسهولة .

ماري : أوه .. لقد كنت في طريقي إلى البيت يا مستر بروكتور ...

بروكتور : هل أنت عبيطة يا ماري وارين ؟ هل أنت صماء ؟ قلت لك لا تغادري البيت . إذن لماذا أدفع لك أجرا لو كنت دائمة الخروج هكذا . إني دائم البحث عنك أكثر مما أبحث عن بقري ...

ماري : إني قدمت فقط لمشاهدة ما يجري في الدنيا ...

بروكتور : وفي يوم من الأيام سأريك حدثا من هذه الأحداث التي تجري في الدنيا. هيا اذهبي إلى البيت فزوجتي تنتظرك لإنهاء شغل البيت ..

(تخرج ببطء محاولة الاحتفاظ بجزء من كرامتها) .

مرسي : (خائفة وفي نفس الوقت مسرورة نوعا ما لزجره ماري وارين) من الأوفق أن أذهب الآن لأرعى روث .. صباح الخير يا مستر بروكتور .

(تخرج مرسي وتبقى أبيجال التي ظلت منذ دخول بروكتور وكأنها واقفة على مشط قدميها متسعة العينين . ينظر إليها ثم يذهب إلى بيتي ..)

أبيجال : آه . . لقد كدت أنسى يا جون بروكتور كم أنت قوى . .

بروكتور : (ينظر إلى أبيجال الآن وترتسم على محياه ابتسامة باهتة دليل تذكره لها) ما الذي جرى هنا ؟ .

أبيجال : (في ضحكة عصبية) أوه . انها نوبة سخف ألمت بها . .

بروكتور : ان الناس يمرون في الطريق أمام بيتي متوافدين كالحجيج منذ الصباح الباكر . والمدينة كلها تتحدث عن السحر ...

أبيجال : أوه يا للسخف (تقترب منه في إغراء) كنا نرقص في الغابة البارحة وإذا بخالي يفاجئنا ففزعت بيتي ، هذا كل شيء ...

بروكتور : (تتسع ابتسامته) آه أما زالت بك هذه الميول الشريرة . هيه (تضحك فجأة

وتقترب منه أكثر وتبحث عن عينيه فى نهم) سيجلدونك قبل أن تبلغى العشرين من عمرك ..

(يخطو خطوة إلى الباب فتعترض طريقه إليه)

أبيجال : قل كلمة ياجون ... قل كلمة واحدة رقيقة (تتلاشى ابتسامته أمام رغبتها)

بروكتور : كفى يا آبى . لقد انتهينا من كل ذلك ..

أبيجال : (بإغراء) وهل جئت خمسة أميال لترى بنتا عبيطة تطير ؟ أنا أعرفك جيداً .

بروكتور : (ينحيها من طريقه) جئت لكى أرى أى شر يخبئه خالك للقرية (بحزم) كفى هذا يا آبى .

أبيجال : (تمسك يده قبل أن يتخلص منها) جون ... إنى أنتظرك كل ليلة ..

بروكتور : آبى .. وأنا لم أعطك أملا لتنتظرى ..

أبيجال : (تجتاحها موجة غضب فهى لا تصدق) عندى شىء أحسن من الأمل فيما أظن .

بروكتور : آبى . انسى كل شىء — لن أزورك بعد الآن ..

أبيجال : وكيف أمسكت بظهرى — كيف أمسكت بملابسى خلف بيتك وكنت تتصبب عرقا كالفرس كلما لحتنى أو هل كنت أحلم ؟ انها هى التى طردتنى لم تكن أنت . لا تدع غير ذلك . لقد رأيت وجهك عندما طردتنى وكنت تحبنى . وأنت تحبنى الآن ..

بروكتور : هذا شىء لا يقال يا آبى — شىء وحشى ..

أبيجال : ان المتوحشة هى التى تنطق بالأشياء الوحشية . ولكن ما أقوله فى أغلب ظنى ليس بهذه الوحشية . لقد رأيتك وكنت أراك منذ طردتنى كنت تزورنى كل ليلة ..

بروكتور : أنا لم أغادر مزرعتى طوال السبعة أشهر الأخيرة ..

أبيجال : أنا حساسة ياجون للحرارة ، ولقد جذبتنى حرارة أنفاسك ولفح رقبتك

إلى النافذة ورأيتك تنظر إليها وانشوق يحرقك فى وحدتك . هل تجرؤ على القول انك لم تنظر أبداً إلى نافذتى .

بروكتور : ربما أكون قد نظرت إليها فعلا ..

أبيجال : (برقة) بل يجب أن تنظر . إنك لم تهرم بعد .. أنا أعرفك يا جون . أعرفك (تبكى) ما عاد فى استطاعتى النوم فى سلام وعدت أستيقظ وأسير فى البيت هائمة على وجهى كما لو كنت أتوقع دخولك من أى باب . (تمسكه فى يأس) :

بروكتور : (يدفعها عنه برفق) يا طفلتى ..

أبيجال : (غاضبة) كيف تسمينى طفلة .

بروكتور : آبى . ربما كنت أفكر فيك أحياناً تفكيراً رقيقاً . ولكنى أقطع يدى قبل أن تمتد إليك ثانية . انسى كل شىء . نحن لم نتلامس أبداً يا آبى . .

أبيجال : ولكن هذا كذب ..

بروكتور : بل أنا لم أمسسك ..

أبيجال : (بغضب عنيف) أوه . أنا فى عجب . كيف سمح رجل قوى مثلك لزوجة هزيلة مريضة أن ...

بروكتور : (غاضباً — من نفسه أيضاً) لا تغتابى اليزابيث ..

أبيجال : إنها تشوه سمعتى فى القرية . إنها تفترى علىّ . إنها امرأة كريهة ثرثارة .. وأنت تقف إلى جانبها . دعها تطردك كما ...

بروكتور : (يهزها) هل تريدين منى أن أجلدك ؟
(يسمع صوت غناء كنسى فى الدور الأرضى)

أبيجال : (باكية) بل إنى أحن الى جون بروكتور الذى سلب منى النوم وأرسل الدفء إلى قلبى . أريد جون بروكتور الذى عرفنى الدنيا . لم أكن أعرف نفاق أهل ساليم ، لم أكن أعرف كذب الدروس التى كانت تعلمنيها

كل هاته النسوة المسيحيات ورجالهن المحكومون ثم تطلب منى الآن أن أمزق الضوء الذى ترى به عيناى ؟ لن أمزقه — لا أستطيع . إنك أحببتنى ياجون بروكتور ومهما بلغ إثم ما تكنه لى فأنت مازلت تحبنى (يستدير فجأة ليذهب فتندفع إليه) جون . ارحمنى ارحمنى …

(يعلو الإنشاد الدينى فتصم بيتى أذنيها بكفيها وتصرخ فى وحشية) .

أبيجال : بيتى ؟ (تسرع إلى بيتى التى تنهض وتصرخ … يذهب بروكتور إلى بيتى فى الوقت الذى تحاول فيه أبيجال إنزال يديها من على أذنيها وتنادى بيتى :

بروكتور : (تزول عنه العصبية ويزداد هدوءا) ماذا تفعل ؟ يا فتاتى ماذا يؤلمك ؟ كفى نحيبا (يتوقف الإنشاد فى منتصف الكلام السابق ويندفع باريس إلى داخل الحجرة) .

باريس : ماذا حدث ؟ ماذا تفعلان لها ؟ بيتى … (يندفع إلى السرير صائحاً) بيتى ، بيتى . . (تدخل مسز بتنام وكلها حب استطلاع ومعها توماس بتنام ومرسى لويس .. باريس يلطم ابنته لطمات خفيفة على الوجه بينما هى تئن وتحاول النهوض) .

أبيجال : سمعتكم تغنون وتنشدون فنهضت فجأة وأخذت تصرخ .

مسز بتنام : الترتيل … الترتيل . أنها لا تتحمل سماع اسم الله

باريس : لا . لا تقولى ذلك . مرسى أسرعى إلى الدكتور ، اذكرى له ما حدث هنا (تجرى مرسى)

مسز بتنام : هذا دليل . وعوا ذلك . هذا دليل …

(تدخل ربيكا نيرس فى الثانية والسبعين من عمرها . ذات شعر أبيض وتتمكز على عصا) .

بتنام : (يشير إلى بيتى المرتجفة) هذا دليل على ما ارتكب هنا من سحر . هذا دليل دامغ ياربيكا :

مسز بتنام : أمى أكدت لى ذلك . كلما عجزوا عن سماع اسم اا ...

باريس : (يرتجف) ربيكا . ربيكا . اذهبى إليها . اننا ضعنا . أنها ما عادت تستطيع أن تسمع اسم الله ...

(يدخل جايلز كورى . فى نحو الثمانين من عمره قوى العضلات يحب إلقاء الأسئلة وسماع جوابها) .

ربيكا : من فضلك لا تحدث ضوضاء وابق هادئاً ياجايلز . البيت فيه ما يكفيه من المرض .

جايلز : وهل نطقت كلمة واحدة ؟ هل يشهد أحدكم أنى قلت كلمة واحدة ؟ هل ستطير مرة أخرى ؟ سمعت أنها تطير ..

بتنام : اسكت يا رجل الآن ..

(يهدىء كل شىء . تمشى ربيكا إلى السرير . كلها رقة . بيتى ترتعش فى هدوء . . عيناها مقفلتان . تقف ربيكا ببساطة إلى جوارها . تهدىء بيتى تدريجيا)

مسز بتنام : (بدهشة) ماذا فعلت ؟

(ربيكا تفكر — تترك جانب السرير وتجلس)

باريس : (متعجبا ولكنه استراح) مارأيك ياربيكا ؟

بتنام : (بتشوق) ربيكا . أيتها الطيبة . هلا ذهبت إلى ابنتى روث وحاولت إيقاظها ؟

ربيكا : (وهى جالسة) إنها ستصحو فى الوقت المناسب .. اهدأوا جميعا أرجوكم . لقد أنجبت أحد عشر طفلا وكنت جدة لستة وعشرين مرة ورأيتهم كلهم عندما يمرضون . إنهم يجتازون الأزمة ويعودون إلى سابق عهدهم من الشقاوة ستصحو فى الوقت المناسب . . عندما تتعب مما هى فيه الآن . . . إن روح الطفل طفل ، ولن يمكنكم الإمساك بها بأن تجروا خلفها يجب أن تبقوا فى أماكنكم وعندما تتعب ستعود هى إليكم من تلقاء نفسها . . .

بروكتور : هذا هو الحق ياربيكا . هذا تمام ..

مسز بتنام : ولكن ما ألم بها ليس مرضا بسيطاً ياربيكا . إن ابنتى روث قد فقدت عقلها . إنها لا تستطيع إطعام نفسها . .

ربيكا : ربما لم تشعر بالجوع بعد .. (إلى باريس) آمل أنك لم تقرر بعد البحث عن الارواح الضالة يا مستر باريس .. لقد سمعتك تمدهم بذلك فى الخارج

باريس : إن الرأى العام يميل إلى الاعتقاد بأن الشيطان أصبح يعيش بيننا وبودى لو استطعت اقناعهم بخطئهم ..

بروكتور : إذن فاخرج إليهم وقل لهم إنهم مخطئون . هل استشرتنا قبل أن تستدعى هذا القسيس لينقب عن الأرواح الشريرة ؟

باريس : إنه لن يحضر لينقب عن أرواح شريرة ..

بروكتور : وإذن فيما يكون مجيئه ؟

بتنام : هناك أطفال يموتون فى القرية يا سيد ..

بروكتور : لم أر أحداً يموت . إن هذا المجتمع لن يكون حقيبة تلفها على رأسك يا مستر بتنام (إلى باريس) هل دعوت إلى عقد اجتماع قبل أن — ؟

بتنام : شبعت من الاجتماعات . ألا نستطيع أن ندير رؤوسنا دون أن نعقد اجتماعات !

بروكتور : يمكنك أن تدير رأسك . هذا مؤكد — ولكن ليس ناحية جهنم .

ربيكا : أرجوك ياجون . اهدىء (سكون) مستر باريس . أظن أنه من الأوفق أن تطلب من القسيس هال أن يعود من حيث أتى حالما يصل . . إن مجيئه سيثير مناقشات حامية بيننا وكنا نرجو أن نعيش فى سلام هذه السنة . فى اعتقادى أننا يجب أن نعتمد على الدكتور الآن فى علاجهن وعلى الصلاة أيضا . . الصلاة الحارة . .

مسز بتنام : ولكن الدكتور احتار فى أمرهن ياربيكا . .

ريبكا : إذا كان لا يعرف لهن حقيقة فدعونا نتجه بكليتنا إلى الله . من الخطر البالغ علينا أن نقول بأن سبب مرضهن أرواح شريرة وأن نسى خلف تلك الأرواح الضالة . إنى أخاف من قول كهذا . أخاف أن يكون ذلك هو حالهن ... من الأنسب لنا أن نلوم أنفسنا وأن . . .

بتنام : وكيف نلوم أنفسنا ؟ إنى واحد من تسمة أبناء . لقد ملأت سلالة بتنام هذا المكان . ومع ذلك فليس لى إلا إبنة واحدة من ثمانية أطفال كلهم ماتوا . وحتى هذه الباقية فى طريقها إلى الموت . .

ريبكا : وما معنى هذا الكلام ؟

مسز بتنام : (متهكمة) ولكنى أفهمه . أنت تظنين أن الله لا يريد لك أن تفقدى أيا من أطفالك أو أحفادك . ولكنى دفنت كل أطفالى إلا واحدة . هل هو يريد ذلك لى ؟ هناك أسرار خلف الأسرار فى هذه القرية ، هناك نيران من داخل النيران فيها . .

بتنام : (إلى باريس) عند مايحضر القسيس هال ستبدأ فى الحال فى التنقيب عن السحرة وأعمال السحر هنا . . .

بروكتور : (إلى بتنام) لا يمكنك أن تأمر مستر باريس . . إننا هنا ننتخب الناس لأشخاصهم ولا يخيفنا مقدار ما يملكون من مال وعقار . . .

بتنام : لم أسمع أنك مهتم بما يجرى فى مجتمعنا يا مستر بروكتور ، ولا أظن أنى تصادف أن رأيتك فى صلواتنا فى الكنيسة منذ أن ولى الشتاء . .

بروكتور : كان عندى من المتاعب ما يكفينى مئونة السير خمسة أميال لأسمعه لا يتحدث إلا عن جهنم واللعنة . اطمئن يا مستر باريس . . . هناك غيرى كثيرون لم يعودوا يواظبون على الحضور إلى الكنيسة لأنك ما عدت تذكر اسم الله فى خطبك . .

باريس : (وقد أثير) هذه تهمة خطيرة . .

ريبكا : ولكنها صادقة إلى حد ما . هناك كثيرون ماعادوا يرغبون فى اصطحاب أبنائهم إلى الكنيسة .

باريس : ولكني لا أعظ الأطفال يا ربيكا . إن المقصرين فى حق الكنيسة وفى التزاماتهم تجاهها ليسوا الأطفال . . .

ربيكا : وهل هناك مقصرون فعلا ؟

باريس : نعم . . إنهم النصف الثرى من أهل ساليم . .

بتنام : بل وأكثر من ذلك . .

باريس : أين خشب الكنيسة ؟ إنكم حينما استأجرتمونى لأكون قسيس كنيستكم قلتم فى العقد إنكم ستزودوننى بالخشب للتدفئة . ومن نوفمبر الماضى وأنا أنتظر تزويدى بخشبة واحدة ، وحتى فى نوفمبر كنت أخرج إليكم ويداى متجمدتان كما لو كنت شحاذاً من شحاذى لندن .

جايلز : ولكننا نعطيك ستة جنيهات زيادة على مرتبك فى السنة لتشترى بها الخشب يا مستر باريس .

باريس : إنى أعتبر الستة جنيهات جزءاً من مرتبى . إن ما أحصل عليه بالإضافة إلى الستة جنيهات لا يكفينى .

بروكتور : ستون جنيهاً بالإضافة إلى الستة جنيهات . . .

باريس : إن المرتب هو ستة وستون جنيهاً يامستر بروكتور . إنى لست واعظاً ريفياً أقرأ مواعظى من كتاب . أنا خريج جامعة هارفارد . .

جايلز : نعم . نعم . وتعرف جيداً كيف تحسب . .

باريس : مستر كورى . إنك لو بحثت عن شخص يقبل أن يعظكم بستين جنيهاً فى السنة فسيطول بحثك . أنا لم أعتد هذا الفقر . لقد تركت تجارتى الرابحة فى باريادوس ووهبت نفسى لله . لست أفهم . لماذا تضطهدوننى هنا ؟ لماذا تكرهوننى ؟ كلما قدمت اقتراحا لقيت ثورة ضدى وقوبلت اقتراحاتى بالاستهجان حتى لقد تساءلت مراراً عما إذا كانت من عمل الشيطان — أعترف أنى لا أفهمكم . ولا ألهمكم . .

بروكتور : إنك يامستر باريس أول واعظ يطلب مسكنا مجانيا لنفسه فى هذه القرية ..

باريس : أيها الرجل — ألا يستحق الواعظ منزلا يعيش فيه . .

بروكتور : لكي يعيش فيه — نعم — ولكن ان تطالب امتلاكه شيء آخر . . إنك تبدو كما لو كنت ستطالب امتلاك صالة الاجتماعات كذلك . لقد كان آخر اجتماع حضرته معكم شبيها بصالة المزادات كنت تتكلم عن الملكية والرهن تماما كسمسار المزادات . .

باريس : إنى لا أطلب منكم إلا الثقة بى . هذا هو كل ما أطلبه فانا واعظكم الثالث فى سبع سنوات . لا أريد أن تطردونى كما تطردون قططكم كلما أحست الأغلبية منكم بميل إلى طردى . إنكم لا تدركون أن الواعظ هو ممثل الله فى الأبراشية وأنكم لذلك يجب ألا تغضبوه وتعارضوه بمثل هذه السهولة التى تغضبوننى وتعارضوننى بها .

جتنام : هاه ! !

باريس : إما أن تطيعونى أو تنهار الكنيسة وتشتعل نيها النيران اشتعالها فى جهنم .

بروكتور : ألا تستطيع أن تكف عن ذكر جهنم لمدة دقيقة واحدة . شبعت من سماع اسم جهنم ، إنى أغثى كلما ذكرتها . .

باريس : أنا الذى يقرر ما يجب أن تسمعه وما يصلح لأذنك . .

بروكتور : ولكنى فيما أظن لى الحق أن أقول ما أشاء . .

باريس : إنك لست حراً فيما تقول وتسمع يا مستر بروكتور . قل لأتباعك إنكم لستم أحراراً أن تقولوا وتفعلوا ما تشاءون .

بروكتور : أتباعى . .

باريس : (ما عاد يخفى ما بنفسه) هناك حزب فى هذه الكنيسة ، أنا لست أعمى . هناك حزب متعصب هنا . .

بروكتور : متعصب ضدك ؟ ! ! !

جتنام : ضده وضد السلطة ! !

بروكتور : مرحى ! ! إذن فواجبي يقتضيني أن أبحث عن هذا الحزب وانضم إلى صفوفه ! ! (يصدم الباقون) .

ريبكا : إنه لا يعني ما يقول . .

بتنام : لقد اعترف . اعترف الآن . .

بروكتور : بل أعني ما أقول . كل حرف منه يا ريبكا . أنا لا أستسيغ رائحة هذه السلطة .

ريبكا : إنك لن تكدر صفو العلاقة بينك وبين الواعظ . إنك أطيب من ذلك . صافحه يا بروكتور وليصف قلبا كما ...

بروكتور : بل عندى ما هو أهم فى حقلى وفى بيتى (يذهب إلى الباب غاضباً ويستدير مبتسما لـكورى) ما رأيك يا جايلز — هيا ننقب عن هذا الحزب . إنه يقول إن هناك حزباً .

جايلز : لقد غيرت رأيي فيما يتعلق بالواعظ يا جون . « مستر باريس » تقبل اعتذارى . لم أكن أظنك على هذه الصلابة ..

باريس : (مندهشا) أشكرك يا جايلز ..

جايلز : إن ذلك يفتح أعيننا على المشكلة التى نعانى منها طوال هذه السنين (لهم كلهم) فكروا فيما قال . لماذا نضايق بعضنا البعض : فكروا الآن . إن المشكلة عميقة ومظلمة كالهوة . لقد ترددت على المحكمة خلال هذه السنة فقط ست مرات . .

بروكتور : (هادئاً ولكن فى حرارة) أيكون الإنسان ضالا تحت تأثير الشيطان لو أنه لم يحيك تحية الصباح ؟ وهل يبيح ذلك لك أن تنال من سمعته ؟ إنك هرمت ياجايلز ولم تعد تسمع جيدا ..

جايلز : (لا يطيق أن يغضبه أحد) جون بروكتور — لقد جمعت فى الشهر الماضى فقط أربعة جنيهات من الناس قيمة ما ألحقته بسقف بيتك من خسائر و ...

بروكتور : (ضاحكا) وهل قلت أنا كلاما كهذا . إنك أصم ولذلك سأقول لك ياأصم دون أن أضطر إلى دفع غرامة نظير إهانتى لك . هيا بنا . هيا ياجايلز وساعدنى فى جر الخشب من حقلى إلى البيت …

بتنام : لحظة واحدة يامستر بروكتور . ما هو هذا الخشب الذى ستجره ؟

بروكتور : خشبي الذى اقتطعته من الجزء الذى أمتلكه من الغابة . الجزء الذى إلى جوار النهر .

بتنام : إذن فقد جننا كلنا هذه السنة .. ماهذه الفوضى ؟ هذا الجزء داخل ضمن حدود أرضى .. إنه ملكى أنا يامستر بروكتور .

بروكتور : ملكك .. (يشير إلى ربيكا) لقد اشتريت هذا الجزء من زوج ربيكا منذ خمسة أشهر .

بتنام : لاحق له فى بيعها . إنها مذكورة ضمن وصية جدى . إن كل الأرض الواقعة بين النهر و …

بروكتور : كان جدك يكتب فى وصيته أراضى لايملكها ولا حق له فيها !! هيه . لتقل كل شىء بصراحة ..

جايلز : هذا حق … كتب فى وصيته أنه يمتلك أطيانى الشمالية ولكنه أدرك أنى سأقطع يده قبل أن يجرؤ على إمضائها !! هيا ياجون نجر خشبك . أحس برغبة عارمة فى العمل .

بتنام : لو رفعت حملا واحداً من الخشب من أرضى صرعتك ..

جايلز : ها .. وستفوز يابتنام علينا .. هيا إذن اصرعنا (يستدير ويخرج) .

بتنام : سأحرض رجالى عليك يا جايلز …

(يدخل صاحب القداسة جون هال Hale قسيس بيفولى . يقارب الأربعين . نحيف متسع العينين من النوع المفكر … وهو مسرور لمجيئه فى هذه المهمة فهو يحس كأنه مختص وأنهم لاغنى لهم عنه فى مسائل

السحر والتأكد منها . وهو كمعظم أهل الملل يقضى جزءاً من حياته في تأمل العالم غير المرئى وخاصة بعد أن عثر فى أراشيفه على ساحرة . وهو عندما يدخل نراه محملا بنصف دستة من الكتب الثقيلة).

هال : أرجوكم . . واحد يحمل عنى هذه الكتب ...

باريس : (مسروراً) مسترهال .. كم أنا مسرور للقياك مرة أخرى (يأخذ بعض الكتب) أوه كم هى ثقيلة ..

هال : (يضع كتبه) إنها لكذلك . إنها تفيض بالسلطة .

باريس : (يخاف قليلا) حسن . لقد قدمت مستعداً ...

هال : إننا سنكون فى حاجة إلى دراسة مستفيضة لو شئنا التعمق والحلول الجذرية (يلاحظ ربيكا) هل أنت ربيكا نيرس ؟

ربيكا : نعم ياسيدى . هل تعرفنى ؟

هال : من الغريب إننى عرفتك ولكننى أتوسم فيك خيراً كثيراً . لقد سمعنا كلنا عن برك وتبرعاتك فى بيفرلى ..

باريس : هل تعرف هذا السيد إنه مستر توماس بتنام . وهذه زوجته السيدة آن .

هال : بتنام .. إننى لم أتوقع مقابلة أناس مرموقين مثلك ياسيدى ..

بتنام : (مسروراً) أشكرك ياسيدى ، ولكن مكانتى لانفع منها اليوم . إننا ننظر إليك فى محنتنا . تعال ياسيدى معنا إلى البيت وانقذ طفلتنا..

هال : وهل ابنتك هى الأخرى مريضة ؟

مسز بتنام : إن روحها غريبة عنا . إنها فى عالم آخر . إنها تنام ومع ذلك تمشى .

بتنام : ولكنها لا تستطيع الأكل ..

هال : لا تستطيع الأكل (يفكر ثم يوجه الكلام لبروكتور وجايلز كورى) وهل أطفالكما أنتما الآخرين مرضى كذلك ؟ ..

باريس : لا . لا . هؤلاء فلاحون . هذا جون بروكتور .

جايلز : إنه لايؤمن بالسحر

بروكتور : (إلى هال) إننى لا أتحدث عنه بالرفض أو القبول . هلا قدمت معى ياجايلز ؟

جايلز : لا — لا يا جون . لن أذهب معك . عندى بعض الأسئلة أريد أن أعرف جوابها منه .

بروكتور : لقد سمعت أنك رجل عاقل يا مستر هال .. أرجو أن تخلف جزءا من تعقلك للأمور فى ساليم . .

(يذهب بروكتور . يبقى هال مرتبكا لثانية . .)

باريس : (بسرعة) هلاَّ ألقيت نظرة على ابنتى يا سيدى ؟ (يتقدم هال إلى السرير) لقد حاولت أن تقفز من النافذة . وعثرنا عليها هذا الصباح فى الطريق العام رافعة يديها كما لو كانت تريد أن تطير . .

هال : (يضيق عينيه) أن تطير ؟ !

بتنام : إنها لا تستطيع أن تسمع اسم الله يذكر أمامها . أليس ذلك دليلا يا مستر هال على أنها مسحورة .

هال : لا . لا . إسمع . يجب ألا نبحث عن الخرافة كسبب لحالة مثل هذه . إن مس الشيطان لا تخطئه عينى . وقبل أن أبدأ معكم أريدكم أن تصدقونى حتى تكونوا مستعدين إذا لم أجد عليها أثراً من آثاره .

باريس : نوافقك يا سيدى . نوافقك ونرتضى حكمك .

هال . حسن إذن . . (يذهب إلى السرير وينظر إلى بيتى . . مخاطب باريس) والآن يا سيدى كيف بدأت معها هذه الحالة ؟

باريس . لقد اكتشفت ابنتى وابنة أختى وعشر فتيات أو اثنتا عشر منهن يرقصن فى الغابة أمس .

هال . (مندهشا) وهل تسمحون لهن بالرقص ؟

باريس . لا . لا .. كن يرقصن سرا ..

مسز بتنام . (متلهفة على الكلام) إن خادمة مستر باريس لها دراية بأعمال السحر وتحضير الأرواح يا سيدى ..

باريس : (إلى مسز بتنام) لسنا متأكدين من هذا الكلام يا آن ..

مسز بتنام : (خائفة وتتحدث برقة زائدة) ولكنى متأكدة يا سيدى . لقد أرسلت ابنتى لتستعلم من تيتوبا عن قتل أطفالى .

ربيكا : (مشمئزة) آن .. هل أرسلت طفلة لتحضير أرواح الموتى ؟

مسز بتنام : إن الله سيعاقبنى أنا لا أنت يا ربيكا . كفى عن الحكم علىّ وانتقاد أفعالى (إلى هال) هل تعتبر ياسيدى موت سبعة أطفال فى اليوم الذى يولدون فيه شيئا عاديا ؟

باريس : هش ..

(ربيكا متألمة تدير وجهها بعيدا . هناك صمت)

هال : سبعة أطفال ماتوا عند ميلادهم ..

مسز بتنام : (برقة) نعم . (يرتعش صوتها تأثراً وتنظر إليه . صمت . يتأثر هال . ينظر إليه باريس ، يذهب إلى كتبه ، يفتح أحدها ويقلب الصفحات ويقرأ ، ينتظره الجميع بشغف)

باريس : (بصوت خفيض) أى كتاب هذا ؟

مسز بتنام : ماذا وجدت يا سيدى ؟

هال . (بتلذذ المفكرين) هنا يكمن كل العالم غير المرئى محصورا محددا ومحسوبا . فى هذه الكتب يقف الشيطان عاريا أعزل من كل أسلحته وأقنعته . هنا كل الأرواح الشريرة التى اعتدتم السماع عنها ... كل السحرة الذين يجوبون الأرض راجلين ، ومحلقين وراكبين البحر .

كل سحرة الليل والنهار . فلا تخشوا شيئا ، سنكتشف نوع السحر هنا ، سنضبطه إذا حضر بيننا وسأسحقه كليـة لو جرؤ على الظهور أمامنا ..

(يسير إلى السرير)

ريبكا : وهل سيؤذى الطفلة يا سيدى ؟

هال : هذا ما لا أستطيع التكهن به . إذا كانت حقيقة فى قبضة الشيطان فسنحاول ونجتهد حتى نخلصها منه ...

ريبكا : أعتقد أنى لن أتحمل رؤية ذلك ، سأذهب إذن (تنهض)

باريس : (محاولا إقناعها بالجلوس) لماذا يا ربيكا ، ربما حاولنا عرض مشاكلنا كلها اليوم .

ريبكا : فلنأمل أن تحل جميعها ولنتوجه إلى الله ليهدينا .

باريس : (بحقد) أرجو أن لا يكون معنى كلامك أننا نتوجه هنا إلى الشيطان (صمت بسيط)

ريبكا : لا أدرى . (تخرج يحسون بنوع من الكراهية لما أبدته حيالهم من امتعاض أدبى)

بتنام : هيا يا مستر هال ... اجلس هنا .

جايلز : مستر هال . لقد تمنيت أن أقابل يوما ما رجلا مثقفا . ما معنى قراءة الكتب الغريبة ؟

هال : أى كتب ؟

جايلز : لا أعرف أسماءها . إنها تخبئها ...

هال : من تخبئها ؟

جايلز : مارثا زوجتى ، إننى كثيراً ما أستيقظ فى الليل فأجدها منزوية فى أحد الأركان تقرأ كتاباً ، ماممنى هذا ؟ ...

هال : إنه لا يعنى بالضرورة أنها ...

جايلز : ولكن ذلك يقلقنى ! أمس — إفهم ما أقوله — حاولت كثيراً وكررت محاولاتى حتى تعبت ولكنى لم أستطع أن أصلى ، وأخيراً أقفلت كتابها وخرجت من البيت وفجأة — إفهم ما أقوله — استطعت أن أؤدى صلاتى مرة أخرى .

(لا بد أن نقول كلمة هنا عن جايلز العجوز ، فهو فى نحو الثمانين من عمره شخصية كوميدية لم يدخل الكنيسة أبداً إلا بعد أن تزوج من مارثا فى سنواته الأخيرة . والناس تشك فيه دائماً فلو ضاع من أحدهم بقرة لكان أول ما يخطر على باله أن يبحث عنها عند بيت جايلز . ومع ذلك فجايلز فى أعماقه شخصية بريئة ساذجة جريئة) .

هال : آه — أما عن عدم القدرة أحياناً على التركيز فى الصلاة — فهذا ما سأحدثك عنه مرة أخرى يا مستر جايلز .

جايلز : أنا لا أقول إنه الشيطان قد مسها ولكنى أحب أن أعرف ماهية هذه الكتب التى تقرؤها زوجتى ، ولماذا تخفيها عنى ، إنها لا تشفى حب استطلاعى وهذا هو ما يؤرقنى ويقلقنى معا ...

هال : سنناقش ذلك (إلى الجميع) اسمعوا : إذا كانت ابنتكم قد أصابها مس فسترون أشياء رهيبة فى هذه الحجرة ، لذلك أرجوكم أن تنتبهوا جيداً « مستر بتنام » أرجوك قف هنا حتى لا تطير ، والآن يا عزيزتى بيتى ، انهضى ...

(يقترب بتنام ويداه مستعدتان . يجلس هال بيتى ولكنها تجلس متهالكة بين يديه) هم مم ... (يراقبها بتمعن .. الجميع مبهورون) هل هل تسمعيننى ؟ إننى جون هال قسيس بيفرلى ، جئت لكى أساعدك يا بنيتى ... هل تذكرين ابنتى الصغيرتين فى بيفرلى ؟ (لا تتحرك فى يديه) .

باريس : (فى فزع) وهل كان ينقصنى الشيطان أيضاً ؟ ولماذا اختار بيتى لسكناه ؟ ولماذا لم يلبس أياً من هؤلاء المنحلين الذين تحفل بهم القرية ...

هال : وماذا يستفيد الشيطان من شخصية منحلة ساقطة ؟ إنه يريد المؤمنين الأخيار دائماً — ومن أكثرهم إيماناً غير القساوسة ... ؟

جايلز : هذا كلام عميق يا مستر هال — كلام عميق . . عميق ...

باريس : (فى تصميم) بيتى ، ردى على مستر هال — بيتى ...

هال : هل يهددك شخص ما يا طفلتى ؟ لا يهم أن يكون ذلك الشخص امرأة أو رجلا ربما كان ذلك طيرا من الطيور يقدم إليك خفية دون أن يراه الآخرون ... ربما كان خنزيراً أو فأراً أو أى حيوان ، هل هناك شىء ما أمامك يطلب منك أن تطيرى ؟ (تبقى الطفلة ساكنة بين يديه ، ينيمها فى سكون على الوسادة — يمد يديه إليها ويقول) باسم الله لينته كل شر هنا وليذهب إلى الجحيم (لا تتحرك ، يستدير إلى أبيجال وتضيق عيناه) أبيجال — أى نوع من الرقص هذا الذى كنت تمارسينه معها فى الغابة ؟ .

بيجال : الرقص العادى ...

اريس : أظن أنه من الواجب أن أقول إننى — إننى — عثرت على إبريق على الحشيش حيث كن يرقصن .

بيجال : كان إبريق الحساء ...

ال : أى نوع من الحساء كان هذا يا أبيجال ؟

بيجال كان حساء الفاصوليا والعدس على ما أذكر ، و ...

هال : مستر باريس ... هل لاحظت شيئا حيا فى الإبريق ؟ هل رأيت فأرة مثلا أو عنكبوتا أو ضفدعة — شيئا من هذا القبيل ؟

باريس : (بخوف) أنا . أعتقد إنى رأيت شيئا يتحرك فى الحساء ..

أبيجال : إنها قفزت فى الحساء ولكننا لم نضمها بأنفسنا . .

هال : (بسرعة) وما التى قفزت فى الحساء ؟

أبيجال : إنها ضفدعة صغيرة ..

باريس : ضفدعة يا أبى ! !

هال : (ممسكا أبيجال) أبيجال ربما أدى ذلك إلى وفاة ابنة خالك ، اعترفى ، هل كنتم تستدعون الشيطان أمس ؟

أبيجال : أنا لم أستدعه ، تيتوبا — تيتوبا ..

باريس : (وقد سر للنتيجة) هل هى التى استدعته ؟

هال : أريد أن أتحدث إلى تيتوبا ..

باريس : هل تسمحين يا آن بمناداتها ؟ (تخرج مسز بتنام)

هال : وكيف كانت تستدعيه ؟

أبيجال : لا أعرف — كانت تتكلم فى لغة أهل باربادوس . .

هال : وهل أحسست بجو غريب حولك عند ما كانت تستدعيه ؟ ريح مفاجئة باردة . مثلا ؟ أو هزة أرضية — ربما ؟

أبيجال : لم أرأشياءمن هذا القبيل (تهزبيتى) بيتى . استيقظى يابيتى . بيتى بيتى ..

هال : لن تهربى من أسئلتى يا فتاتى . أبيجال — هل شربت ابنة خالك من الحساء الذى كان فى الإبريق ؟ .

أبيجال : انها لم تذقه .

هال : وهل شربت منه أنت ؟

أبيجال : لا سيدى . .

هال : وهل طلبت منك تيتوبا أن تتذوقيه .

أبيجال : حاولت ولكنى رفضت .

هالي : لماذا تكذبين ؟ هل بعت نفسك للشيطان ...

أبيجال : لم أبع نفسي ... أنا فتاة طيبة أنا فتاة تحترم نفسها وتحترم التقاليد ...

(تدخل مسز بتنام مع تيتوبا . وفى الحال تشير أبيجال إلى تيتوبا)

أبيجال : انها التي أغرتني على فعل ما فعلت . إنها التي أغرت بيتى على فعل ما فعلت ...

توبا : (مصدومة ومغضبة) آبى . .

بيجال : انها التي أغرتني على شرب الدم . .

اريس : الدم ...

سز بتنام : دم طفلي ...

تيتوبا : لا . لا . دم دجاج . إننى أعطيتها دم دجاج ...

هال : يا امرأة ... هل جعلت من هؤلاء الأطفال تلاميذ للشيطان ...

تيتوبا : لا يا سيدى . إننى لا أتعامل مع الشياطين ...

هال : إذن فلماذا لا تستيقظ ؟ هل أسكتها ؟

تيتوبا : بل إنى أحب بيتى ...

هال : هل ترسلين روحك حول هذه الطفلة حومة ناهية ؟ هيه ؟ هل تجمعين أرواح الناس لحساب الشيطان ...

أبيجال : انها تحوم روحها حولى فى الكنيسة . انها تجعلنى أضحك أثناء الصلاة ...

باريس : نعم انها كثيراً ما تضحك أثناء الصلاة ...

أبيجال : إنها تخنقنى كل ليلة لكى أذهب معها حتى تسقينى دما ...

تيتوبا : ولكنك أنت التي كنت تلحين على فى استحضار الأرواح ... إنها كانت ترجونى أن أسحر لها ...

أبيجال : لا تكذبي (إلى هال) إنها تأتيني وأنا نائمة . انها تسيطر على أحلامى وتفسدها كلها .

تيتوبا : لماذا تقولين ذلك يا آبي ...

أبيجال : وأحياناً أستيقظ فأجد نفسي واقفة على عتبة الباب عارية تماما . إنني أسمعها دائماً تضحك في نومي . أسمعها دائماً تغني أغانيها الزنجية وتغريني على ...

تيتوبا : يا سيدى القسيس أنا لم ...

هال : (وقد استقر رأيه) تيتوبا . أريد منك أن توقظي هذه الطفلة ...

تيتوبا : أنا لست متسلطة على هذه الطفلة يا سيدى . لا شأن لى بنومها ...

هال : يجب أن توقظيها — يجب أن تحرريها من السحر الآن . متى بدأت تتصلين بالشيطان ؟

تيتوبا : أنا لا أتصل بشياطين ...

باريس : اعترفي وإلا أخذناك قسراً إلى الخارج وجلدناك حتى الموت . هيا ياتيتوبا .

بتنام : يجب أن تشنق هذه المرأة ... يجب أن نأخذها ونشنقها ...

تيتوبا : (فزعة تركع على ركبتيها) لا . لا تقتلوا تيتوبا . لقد قلت له مراراً إني لا أريد خدمته يا سيدى ...

باريس : الشيطان ...

هال : إذن فقد رأيته (تبكي تيتوبا) والآن يا تيتوبا أنا أعلم أننا عند ما نربط أنفسنا إلى الشر فإنه يصعب علينا أن ننطلق من إساره . وواجبنا نحن أن نساعدك على تحريرك منه .

تيتوبا : (مذعورة مما سيحدث لها) ياسيدى القسيس : الذى سحر هؤلاء الأطفال ...

هال : من هو ؟

تيتوبا : لا أعرف يا سيدى ولـكن الشيطان له تلاميذ كثيرون ·

هال : صحيح ؟ اسمعى ياتيتوبا · أنظرى فى عينى . تعال ... أنظرى فيهما (ترفع عينيها إليه فى خوف) ستكونين امرأة مسيحية فاضلة · أليس كذلك يا تيتوبا ؟

تيتوبا نعم يا سيدى . سيدة مسيحية فاضلة ...

هال : وهل تحبين هؤلاء الأطفال الصغار ؟ .

تيتوبا : أوه « نعم يا سيدى » لم يكن بودى أن أوذى صغار الأطفال .

هال : وهل تحبين الله يا تيتوبا ؟

تيتوبا : إنى أحب الله بكل كيانى .

هال : فبحق الله عليك .

تيتوبا : ليتبارك هو . ليتبارك اسمه (تبـكى بحرقة وهى راكعة على ركبتيها — مفزوعة).

هال : وبحق مجده . .

تيتوبا : مجد أبدى ... ليتبارك الله — ليتبارك اسمه .

هال : افتحى نفسك . تيتوبا · افتحى نفسك واتركى ضوء الله المقدس ينفذ خلالك ويضىء قلبك وعقلك · ·

تيتوبا : أوه · ليتبارك الرب ·

هال : عند ما يزورك الشيطان · هل يصحب معه أحدا ؟ (تحملق فى عينيه) ربما كان شخصا من هذه القرية ؟ شخصا تعرفينه ·

باريس : من يحضر معه · ·

بتنام : أهى ساره جود ؟ هل رأيت ساره جود معه فى إحدى المرات ؟ أم هو أوسبورن ؟

باريس : هل هذا الشخص رجل أم امرأة ؟

تيتوبا : رجل أو امرأة ؟ كان — كان امرأة . .

باريس : ايه امرأة ؟ قلت إنه امرأة ؟ ايه امرأة ؟

تيتوبا : امرأة سوداء . . سمراء وأنا —

باريس : إذا كنت قد رأيتيه فلماذا لم تريها ؟

تيتوبا : كانا دائما يتكلمان . كانا دائما يجريان ويدوران ويحملان . .

باريس : هل تعنين خارج ساليم ؟ سحرة ساليم ؟

تيتوبا : أعتقد ذلك . نعم ياسيدى .

(يأخذ هال يدها . . تندهش)

هال : تيتوبا — يجب ألا تخافى من الإفصاح عن شخصيتهم هل تفهمين ؟ سنحميك . إن الشيطان لا يتغلب أبدا على قسيس . أنت تعرفين ذلك . أليس كذلك ؟

تيتوبا : (تقبل يد هال) نعم يا سيدى . أوه . أعرف ذلك . .

هال : لقد اعترفت بأنك كنت تزاولين السحر وهذا دليل رغبتك فى الانتصار للخير والحق والرجوع إلى الله . ولسوف يبارك يا تيتوبا . .

تيتوبا : (تشعر بالراحة) ليبارك الله يا مستر هال . .

هال : (بنشوة بالغة) أدت الوسيلة التى وضعها الله فى أيدينا لنكتشف عملاء الشيطان بيننا . لقد اختارك الله يا تيتوبا . اختارك لمساعدتنا فى تطهير قريتنا ... لذلك تكلمى . افصحى تماماً . قولى كل شىء أديرى له ظهرك وواجهى الله . واجهى الله ياتيتوبا وسيحميك من كل سوء ...

تيتوبا : (تقول معه) أواه ياربى احمى تيتوبا ..

هال : (بعطف) من كان يزورك مع الشيطان ؟ هل كانا اثنين ؟ ثلاثة ؟ أربعة ؟ كم عددهم ؟

تيتوبا : (تلهث وتبدأ فى العد ناظرة أمامها) كان هناك أربعة .. كانوا أربعة ..

باريس : (يواصل هجومه) من هم ؟ من هم ؟ أسماؤهم . . أسماؤهم ؟!!

تيتوبا : (مندفعة فجأة) أوه . كم مرة رجانى أن أقتلك يا مستر باريس !!!

باريس : تقتلينني !!!

تيتوبا : (فى غضب) كان يقول لا بد من قتل المستر باريس ... لأنه ليس رجلا طيباً . إنه بخيل وفظ .. وكان يطلب إلى أن أفاجئك فى سريرك وأذبحك (يشهقون) ولـكنى قلت له « لا . إنى لا أكرهه . لا أريد أن أقتل هذا الرجل » . ولـكنه كان يقول « إنك تعملين لحسابى ياتيتوبا وسأحررك . انى أعطيك ملابس جميلة وسأحملك على أجنحتى وأطير بك الى بار بادوس موطنك » ولـكننى كنت أقول له : « انك تـكذب أيها الشيطان ، انك تـكذب ... » وحينئذ جاءنى فى إحدى الليالى العاصفة وقال « انظرى ، لقد تبعنى أناس بيض كذلك » ونظرت — ورأيت جودى جود ...

باريس : ساره جود !!

تيتوبا : (تهتز وتبكى) نعم يا سيدى ، وجودى أوسبورن ..

مسز بتنام : كنت أعرف ، كانت جودى أوسبورن قابلتى ثلاث مرات ، لقد رجوتك يا توماس أن تغيرها . ألم أقل لك ؟ رجوته أن لا يحضر أوسبورن لأنى كنت أخشاها ، كانت أطفالى تذوى دائماً بين يديها ...

هال : تشجعى ، يجب أن تذكرى لنا أسماءهم كلهم ، كيف تتحملين رؤية هذه الطفلة تذوى وتتعذب هكذا ؟ أنظرى إليها ياتيتوبا (يشير إلى بيتى على سريرها) أنظرى الى البراءة التى وضعها الله فيها . إن روحها شفافة للغاية — يجب أن تحميها ياتيتوبا ، ان الشيطان حر طليق وهى ترقد فى اساره ، يتغذى عليها كما يتغذى الحيوان على لحم حمل وديع ... ليباركك الله لما تبذلينه من عون لنا ..

(تنهض أبيجال محلقة أمامها كما لو كانت قد كشف عنها الحجاب وتصيح) .

ابيجال : أريد أن أفتح نفسى (يستديرون إليها مندهشين . تبدو مسحورة كما لو كان ضوء باهر قد غمرها) أريد نور الله . أريد حب المسيح . لقد عملت من أجل الشيطان . لقد رأيته وكتبت فى دفتره . أريد أن أعود إلى المسيح . أريد أن أقبل يده . لقد رأيت سارة جود مع الشيطان لقد رأيت جودى أوسبورن مع الشيطان . . . لقد رأيت بريد جيت بيشوب مع الشيطان . (بينما تتكلم تنهض بيتى وعيناها محمومتان وتواصل ذكر الأسماء) .

بيتى : (محلقة هى الأخرى) لقد رأيت جودى هوى مع الشيطان . .

باريس : إنها تتكلم . (يندفع إلى بيتى ليحتضنها) إنها تتكلم . .

هال : الحمد لله ! ! لقد انكسر السحر ! ! بطل وتحررن ! !

بيتى : (تصيح بطريقة هستيرية وبراحة كبرى) ورأيت مارثا بيلوز مع الشيطان . . .

ابيجال : ورأيت جودى سيبر ...

بتنام : الأمور . . . سأنادى الأمور ...

(باريس يبدأ صلاة شكر) .

بيتى : ورأيت أليس بارو ...

(تبدأ الستار فى النزول) .

هال : (بينما بتنام يخرج) وليحضر الأمور معه أصفاداً ...

ابيجال : ورأيت جودى هوكنز مع الشيطان ...

بيتى : ورأيت جودى بيير مع الشيطان .

ابيجال . ورأيت جودى بوث مع الشيطان ...

(وتسدل الستار على صرخاتهن المحمومة) .

(انتهى الفصل الأول)

الفصل الثانى

(حجرة فى منزل بروكتور ، بعد الحوادث السالفة بثمانية أيام ...

يوجد إلى اليمين باب يفتح على الحقول ، وعلى اليسار مدفأة وخلفها سلم يؤدى إلى الطابق العلوى . والحجرة مظلمة يجلس فيها أفراد الأسرة وقت فراغهم والحجرة خالية عندما تفتح الستار وتسمع اليزابيث وهى تغنى للأطفال فى الدور العلوى ، ثم يفتح الباب ويدخل جون بروكتور حاملا بندقيته . ينظر حواليه ويتقدم إلى المدفأة ويتوقف لحظة لدى سماعه صوتها وهى تغنى . يستمر فى طريقه إلى المدفأة ويسند البندقية إلى الحائط ويرفع قدراً من على النار ويتشممه ، ثم يرفع الغطاء ويتذوقه . يحس ببعض التقزز ، يذهب إلى الدوفيه ويتناول قليلا من الملح يسقطه فى القدر ويتذوقه مرة أخرى ، يسمع خطواتها على السلم فيضع القدر بسرعة فوق نار المدفأة ويذهب إلى حوض ويغتسل . تدخل اليزابيث . .)

اليزابيث : ما الذى أخرك هكذا ؟ إن الظلام قد حل . .

بروكتور : كنت أحرث أرضى وتوغلت فى الحرث حتى حدود الغابة ...

اليزابيث : إذن فأنت مجهد ...

بروكتور : نعم وبذرت الحب ، هل نام الأولاد ؟

اليزابيث : عما قليل ينامون (تذهب إلى المدفأة وتغرف الحساء فى طبق)

بروكتور : نرجو أن يكون هذا الصيف معتدلا .

اليزابيث : أرجو ذلك ...

بروكتور : وأنت — كيف حالك اليوم ؟

اليزابيث : بخير ... (تحضر الطبق إلى المائدة وتشير إلى الطعام) طبخت أرنبا .

بروكتور : (يذهب إلى المائدة) أوه صحيح . هل اصطدتها فى فخ جوناثان .

اليزابيث : لا . وجدتها فى ركن من البيت . دخلت وحدها ووجدتها منزوية كما كانت زائرة ...

بروكتور : هذا فأل طيب ...

اليزابيث : يعلم الله انى قد تقطع قلبي من أجلها وأنا أسلخها (تجلس وترقبه وهو يتذوقها) .

بروكتور : أوه كم هى شهية ...

اليزابيث : (ممتلئة سروراً) لقد بذلت مجهوداً كبيراً فيها . . هل نضجت ؟

بروكتور : أى (يأكل . ترقبه) أظن عما قريب يخضر الزرع فباطن الأرض دافىء كالدم . .

اليزابيث : خير .

(يأكل بروكتور ثم يرفع رأسه)

بروكتور : لو كان محصول هذا العام جيدا فسأشترى لك عجلة جورج جاكوب . هل يسرك ذلك ؟ ..

اليزابيث : مؤكد . .

بروكتور : (مقطبا) قصدت أن أدخل السرور إلى قلبك يا اليزابيث ..

اليزابيث : (بتعثر) أعلم ذلك يا جون ..

(ينهض ويذهب إليها ويقبلها . تعطيه خدها ولكنها لا تجاوبه يخيب أمله فيعود أدراجه إلى المضدة)

بروكتور : (رقة زائدة) هلا ناولتنى شيئاً من عصير التفاح ؟ ..

اليزابيث : (تحس بالتأنيب لنسيانها) آه (تنهض وتصبه فى كوب — يقوس بروكتور ظهره)

بروكتور : لشد ما أنا تعب . هذه المزرعة ضخمة كالقارة كلما كان على أن اخترقها خطوة خطوة لألقى الحب فى أرضها . .

اليزابيث : (تحضر عصير التفاح) فعلا هى كذلك . .

بروكتور : (يتناول جرعة كبيرة ثم يضع الكوب) يجب أن تزينى البيت ببعض الزهور . .

اليزابيث : أوه ، نسيت . غداً أقطف الزهر وأنسقه فى الآنية .

بروكتور : مازال الشتاء يجثم على الصدور . تعالى معى الأحد القادم وسنقطع المزرعة مشيا معا . لم أرق حياتى زهرا بهذه الكثرة التى تحفل بها أرضنا (وقد صفيت نفسه يذهب وينظر إلى السماء خلال الباب المفتوح) إن لزهور السوسن رائحة زكية .. رائحة الليل المنسدل فيما أظن . أن لليل رائحة عندما يقدم وزهر السوسن يذكرنى بها . كم هى جميلة مساشوستس فى الربيع ...

اليزابيث : نعم أنها لكذلك ..

(فترة صمت . ترقبه وهو واقف يتأمل الليل .. تبدو كما لو كانت تريد أن تتكلم ولكنها لا تفعل ، وبدلا من ذلك تأخذ صحنه وكوبه وشوكته وتذهب بها إلى الحوض ، ظهرها ناحيته . يستدير إليها ويرقبها ... يبدو من حالها أنهما منعزلان وأن هناك حائلا بينهما)

بروكتور : لقد عدت إلى حزنك ، أليس كذلك ؟

اليزابيث : (انها لا تبحث عن الشجار ولكنها يجب أن تقول ما بصدرها) تأخرت فظننتك ذهبت إلى ساليم بعد الظهر .

بروكتور : ولم أذهب إلى ساليم وليس لى عمل بها ؟ .

اليزابيث : ذكرت لى فى معرض كلامك مرة انك ذاهب إليها ولو لم يكن لك بها عمل .

بروكتور : (يعرف ما تقصده) عدلت بعد تفكير ..

اليزابيث : ان مارى وارين خادمتنا ذهبت إليها اليوم .

بروكتور : ولم تركتها تذهب ؟ انك سمعتنى أنهاها عن الذهاب إلى ساليم .

اليزابيث : لم أستطع زجرها :

بروكتور : (يمنع نفسه بصعوبة) أخطأت — أخطأت يا اليزابيث . انك لسيدة

هنا وليست مارى وارين . .

اليزابيث : تعبت من زجرها فتركتها ترحل . . لقد خفت منها . .

بروكتور : وكيف تخيفك هذه الفأرة ؟ أنت . .

اليزابيث : إنها لم تعد فأرة . منعتها من الذهاب وأمرتها بالبقاء ولكنها شمخت بأنفها كأنها ابنة أمير وقالت لى : يجب أن أكون الآن فى ساليم يا مسز بروكتور فأنا عضو فى المحكمة . .

بروكتور : محكمة ؟ أية محكمة ؟

اليزابيث : أنهم يعقدون محكمة فى ساليم استحضروا قضاتها الأربعة من بوسطن . وهى تقول إنهم قضاة كبار من المحكمة الكلية برأسهم نائب محافظ الإقليم . .

بروكتور : (مندهشا) لماذا ؟ ربما كانت مجنونة تهرف . .

اليزابيث : تمنيت على الله أن تكون كذلك . تقول إنهم سجنوا حتى الآن أربعة عشر شخصا (ينظر إليها بروكتور غير مصدق) وسيقدمونهم للمحاكمة كما تقول . إن للمحكمة سلطة شنقهم كذلك .

بروكتور : (مستخفاً بالأمر) آه ، لن يشنقوهم أبدا . .

اليزابيث : نائب المحافظ مصمم على شنقهم إذا لم يعترفوا . . جون ، لقد جنت المدينة فيما أظن . إنها تحدثنى عن ابيجال وكأنها قديسة . أبيجال تتزعم حفنة من الفتيات وتوجه الاتهام إلى الناس وتشهد ضدهم فى المحاكمة ، وحينما سارت ينفرج الناس أمام موكبها كما انفرج البحر أمام سيدنا موسى . من تذكر أبيجال اسمه مثل أمامها فإذا صرخت وأعولت هى ومن معها — وسقطن على الأرض مغشياً عليهن — قبضوا عليه وأودع السجن بتهمة سحرهن . . .

بروكتور : (وقد اتسعت عيناه) أوه إنها لمصيبة . .

اليزابيث : أظن أنه من الواجب أن تذهب إلى ساليم ياجون (يستدير إليها) هنا

ما أعتقده .. يجب أن تواجه المحكمة وتبصرها بزيف اتهامات هذه الفتاة ..

بروكتور : (يفكر فيما تمنيه وينصرف ذهنه إلى أشياء أخرى) هذا واجب فعلا ..

اليزابيث : اذهب إلى حزقيال شيفر — إنه يعرفك جيداً . قص عليه ماسردته عليك فى بيت خالها فى الأسبوع الماضى ... ألم تقل لك إن مرض بيتى لا علاقة له بالسحر ؟

بروكتور : (ساهما مفكرا) آى ... هذا ما قالته . هذا ما قالته (يطرق)

اليزابيث : (خائفة من إغضابه) فلا تخف هذه الحقيقة عن المحكمة إذن . إن الله يأبى ذلك يجب أن تحيطهم علما بها . .

بروكتور : (بهدوء وفى تفكير أعمق) نعم . يجب . يجب . كيف صدقوها ؟ !

اليزابيث : إذن فاذهب إلى سالم هذه الليلة ياجون .

بروكتور : سافكر فى الأمر . .

اليزابيث : (وقد تشجعت) جون . لا يمكنك أن تخفى الأمر ! !

بروكتور : (غاضبا) أعلم أنى لن أستطيع إخفاءه ولكنى أطلب مهلة أفكر فيها ..

اليزابيث : (وقد آذاها غضبه فتتكلم ببرود) حسن . فلنفكر فى الأمر إذن . (تقف ثم تبدأ فى مغادرة الحجرة) .

بروكتور : كنت فقط أتساءل عن الطريقة التى تيسر لى إثبات ما ذكرته لى . هذا كل ما هنالك يااليزابيث . إذا كانت الفتاة قد اعتبرها الناس قديسة الآن فمن الصعب إثبات زيف دعواها . . كيف يمكن للمدينة كلها أن تنقلب غبية إلى هذا الحد . . لقد ذكرت لى ماذكرت وكناوحدنا فى الحجرة . لا دليل لدى ضدها . . .

اليزابيث : أكنتما وحدكما ؟ .

بروكتور : (بجفاء) نعم للحظة واحدة . .

اليزابيث : ولماذا كذبت على فى البداية ؟ .

بروكتور (يتزايد غضبه) قلت للحظة واحدة ، ثم توافد الآخرون بعدها .

اليزابيث (بهدوء ـ لقد فقدت كل إيمانها وثقتها به فجأة) إذن افعل كما يحلو لك (تبدأ فى مغادرة الحجرة) .

بروكتور أيتها المرأة (تستدير) كفى الشك فى . لن أسمح لك بالتشكك فى سلوكى أبداً .

اليزابيث (بنوع من التعالى) أنالم . .

بروكتور لن أسمح لك أبداً . .

اليزابيث إذن فاسلك سلوكا لا يستوجب الشك .

بروكتور (بتهديد صارخ) أما زلت تشكين فى ؟!

اليزابيث (مبتسمة ابتسامة تحفظ عليها كبرياءها) جون ـ لو كان اعترافك أمام المحكمة سيؤذى إنساناً آخر غير ابيجال ـ أكنت تتردد فى التصريح به ؟ لا أعتقد . .

بروكتور اسمعى لقد .

اليزابيث أنا أقول ما أرى يا جون .

بروكتور (بتهديد جاد) لن أسمح لك يااليزابيث بأن تصدرى أحكاما على سلوكى عندى أسباب تمنعنى من اتهام ابيجال بالتزييف فى أقوالها وسأفكر فيها . وفكرى أنت أيضاً فى عيوبك قبل أن تعيبى سلوك زوجك ، لقد نسيت ابيجال و ...

اليزابيث وأنا كذلك نسيتها . .

بروكتور ارحمينى يا امرأة . إنك لا تنسين شيئاً ولا تغفرين شيئاً . . تعلمى التسامح . لقد ظللت أسير على أصابع قدمى فى بيتى هذه السبعة شهور الاخيرة منذ رحيلها . لم أكن أغادر مكانا إلى مكان دون أن يكون فى حسبانى إدخال السرور على نفسك . ومع ذلك فمازال قلبك تغلفه جنازة دائمة . إذا تكلمت شككت فى صدقى وكل لحظة تمر على لا تكفى عن اتهامى بالأكاذيب . كما لو كنت فى محكمة ولست فى بيتى .

اليزابيث لأنك غير صريح معى ياجون . تقول إنكما لم تكونا وحدكما ومع ذلك تذكر الان .

بروكتور كفى ياامرأة ـ أنا لن أستجدى صدقى منك بعد ذلك .

اليزابث (تريد أن تبرر سلوكها) جون . أنا فقط كنت أبغى ...

بروكتور كفى كفى . كان من الواجب إسكاتك ولو بالعنف عندما بدأت شكوكك تحوم حولى فى أول الأمر . ولكنى سالمتك وخنعت واعترفت كما يجب أن يعترف أى رجل يؤمن بدينه وتعاليمه . اعترفت .. لابد أنى كنت أحلم يومذاك عندما اعتقدت أنك تمثلين الله . ولكنك لست الله ويجب أن تذكرى ذلك . ابحثى عن وجهى الفاضل . أأنا خال من الحسنات ؟ كفى شكا وحكما على سلوكى .

اليزابيث أنا لا أحكم على سلوكك . ضميرك الذى يحاكمك فى قلبك . لقد كنت دائماً أظنك رجلا طيباً .. جون (مبتسمة) ولكنى الآن حائرة بعض الشىء .

بروكتور (يضحك بمرارة) أوه يا اليزابيث . إن عدالتك من برودتها تجمد البيرة فى الأكواب .. (يسمع صوتاً بالخارج فيستدير إليه يذهب إلى الباب بينما تدخل مارى وارين . وعنـــدما يلمحها يذهب إليها مباشرة ويمسكها من معطفها غاضباً) كيف أبحت لنفسك أن تذهبى إلى سالم بينما نهيتك عن ذلك ؟ هل تسخرين منى؟ (يهزها) سأمزق جسدك بالسياط إذا تركت البيت مرة أخرى (لا تقاومه وهذا شىء غريب . إنها تتخبط بين يديه)

مارى وارين إنى مريضة . مريضة يامستر بروكتور . أرجوك أستحلفك ألا تؤذينى (تدهشه غرابة سلوكها واصفرارها الواضح وضعفها يتركها) جنباى يؤلمانى .. حضرت الإجراءات كلها طول اليوم ياسيدى ..

بروكتور (يخف غضبه ويبرز حب استطلاعه) وماذا عن الإجراءات المطلوبة منك هنا ؟ ومتى تبدأين فى الاهتمام بهذا البيت الذى أدفع لك كأجر له تسعة جنيهات سنوياً — فى الوقت الذى تعلمين فيه أن زوجتى ليست على ما يرام ؟

(تذهب مارى وارين إلى اليزابيث وتعطيها دمية كنوع من التعويض)

مارى لقد صنعت لك شيئاً اليوم يامستر بروكتور . هدية . كان على أن أجلس ساعات بطولها فأمضيت الوقت فى التطريز . .

اليزابيث (حائرة ـ تنظر إلى الدمية) ياه . أشكرك . إنها دمية جميلة . .

مارى (بصوت راعش خفيض) يجب أن نحب بعضنا البعض الآن يامستر بروكتور

اليزابيث (مندهشة من غرابة كلامها) آى . فعلا ، هذا مايجب أن يكون عليه حالنا ..

مارى (تلقى نظرة على الحجرة) سأستيقظ غداً صباحاً مبكرة وأنظف البيت (تستدير لتذهب)

بروكتور مارى . . . (تتوقف) هل هـــذا صحيح ؟ هل قبضوا على أربع عشرة امرأة ؟

مارى لا ياسيدى . هناك تسع وثلاثون منهن الآن ـ (تقطع كلامها وتتنهد ثم تجلس تعبة) .

اليزابيث يا إلهى .. إنها تبكى . ماذا ألم بك يا طفلتى ؟

مارى مسز أوسبورن . سيشنقونها . .

(صمت حزين يتخلله بكاؤها)

بروكتور يشنقونها ؟ ! (يقترب بوجهه من وجهها) أقلت يشنقونها ؟ !

مارى (من خلال بكائها) آى .

بروكتور ويسمح بذلك نائب المحافظ ؟ !

مارى هو الذى أدانها وحكم عليها . هذا هو ماحدث (لتخفف من وقع كلامها) ولكنه لم يدن سارة جود سارة جود اعترفت . أرأيت ؟!

بروكتور اعترفت بماذا ؟

مارى إنها (فى رعب من الذكرى) إنها كانت أحياناً تتصل بالشياطين وإنها كتبت اسمها فى كتاب إبليس الأسود . . بدمها . وأقسمت أن تذيق المسيحيين العذاب إلى أن ينبذوا عبادة الله وإلى أن نتحول جميعنا عن الإيمان للأبد . . (صمت)

بروكتور ولكن بديهى أنك تعلمين أنها ثرثارة . هل قلت لهم إنها كثيراً ما تتحدث بغير ما تعتقد ؟

مارى مستر بروكتور . لقد صدمتنا جميعاً فى المحكمة . علنا أمام الناس

بروكتور كيف ؟ كيف . .

مارى لقد أرسلت علينا روحها . سلطتها علينا . .

اليزابيث أوه يامارى وارين إنك تعلمين جيداً . .

مارى (كرامتهـا قد خدشت) لقد حاولت كثيراً أن تقتلنى . صدقينى يامسز بروكتور .

اليزابيث كيف ؟ أنا لم أسمعك أبداً تذكرين شيئاً كهذا من قبل . .

مارى لم أعرف أنا نفسى ذلك من قبل . لم أكن أعرف أى شىء قبل ذلك ولـكنها عندما دخلت قاعة المحكمة قلت لنفسى . . لايمكن أن أتهم هذه المرأة لأنها تنام فى الحفر . وهى فقيرة للغاية وطاعنة فى السن . ولـكنها عندما جلست . فى هذه اللحظة فقط . أحسست ـ وهى تنـكرتهمها ـ ببرد غريب يكتنفنى ويسرى فى اعضائى ، وجلد رأسى ينكمش ورقبتى تؤلمنى وكأن أحداً يمسك بها ويكاد يخنقنى . وحينئذ ـ ودفعة واحدة ـ تذكرت كل شىء فعلته بى .

بروكتور وماذا فعلت بك ؟

مارى (كما لو كان قد أيقظها استبصار غريب باهر) جاءتنى كثيراً يامستر بروكتور كانت تجىء حتى هذا الباب . هذا الباب . . تتسول الخبز وفنجانا من شراب التفاح ـ ثم لاحظ ماأقوله جيداً ـ كلما خيبت رجاءها ولم أعطها شيئاً كانت تدير لى ظهرها وتدمدم بشىء . .

اليزابيث تدمدم ؟ هذا ما يفعله كل جائع . . .

مارى وماذا كانت تقول ؟ ما الذى كانت تدمدم به ؟ يجب أن تذكرى يامسز بروكتور ما سأقصه عليك . الشهر الماضى . . . ربما كان ذلك فى يوم اثنين ــ رحلت ــ وفى الحال أحسست بامعائى تـكاد تنفجر واستمر حالى ذاك يومين كاملين . هل تذكرين هذه الحادثة . .

اليزابيث فعلا ــ أذكرها ولـكن . .

مارى وهذا هو ما سردته على القاضى هاثورن . . . سألها فيه وقال لها . مسز أوسبورن بماذا كنت تدمدمين عندما كانت هذه الفتاة تطردك ؟ أية أمنية كنت تصبينها عليها ؟ » فأجابت (تقلد صوت العجائز)

يا فخامة القاضى . لم أكن أصب عليها لعنات . كنت أذكر الله وأقول الوصايا العشر . أرجو أن تسمحوا لى حتى باستذكار وصاياى هذا ما قالته .

اليزابيث هذا جواب صادق حسن . . .

مارى آى ولكن القاضى هاثورن سألها ، إذن فأسمعينا وصاياك ، (تميل عليهم بشماتة) ولم تستطع أن تذكر وصية واحدة من الوصايا العشر وهكذا اكتشفوا كذبها الفاضح . . .

بروكتور ولهذا أدانوها ...

مارى (تتكلم بلهجة أكثر جدية بعد أن رأت شكه فى كلامها) نعم مادامت قد أدانت نفسها .

بروكتور ولكن الدليل ماهو الدليل . .

مارى (وقد نفد صبرها) ذكرت لك الدليل . إنه دليل . قوى دامغ . هذا ما وصفه به القضاة . .

بروكتور (يصمت للحظة) لن تذهبى إلى المحكمة بعد ذلك يا مارى وارين

مارى يجب أن أذهب كل يوم الآن ياسيدى . كيف لا تستطيع أن تتبين أهمية العمل الذى نقوم به الآن . . .

بروكتور وأى عمل هذا الذى تؤدونه . إنه لعمل غريب لفتاة متدينة أن تدين عجائز النساء لتشنقهن .

مارى ولكنهم لا يشنقونهن يا مستر بروكتور لو اعترفن . وستقضى سارة جود بعض الوقت فى السجن (متذكرة) وهذا شىء سيدهشكما عندما تعلمانه . . جودى جود حامل . من كان يصدق ! !

اليزابيث حامل ! ! . . هل جنوا ؟ إن المرأة فى نحو الستين من عمرها . . .

مارى إنهم أرسلوا فى استدعاء الدكتور جرنجز الذى أفتى بأنها حامل فى شهورها الأخيرة . من كان يظن - وهى بلا زواج . . أنها الآن فى مأمن بفضل حملها فلن يمس أحد الطفل البرىء . أليس هذا شيئاً

مذهلا . يجب أن تحضر ذات يوم وتلس بنفسك مدى فائدة عملنا . لهذا سأذهب كل يوم لبعض الوقت فأنا ـ أنا ـ عضو فى المحكمة انهم يقولون وأنا . . . (تذهب إلى طرف خشبة المسرح المواجهة للجمهور) .

بروكتور وأنا سأحطم أعضاءك (يذهب إلى عارضة المدفأة ويأخذ سوطا معلقا فوقها) .

ماري (مفزعة ولكنها تحاول أن تثبت أهميتها) لن احتمل ضربك بالسوط أبدا .

اليزابيث (تسرع بينها بروكتور يقترب) ماري . عديني أنك ستظلين فى البيت . .

ماري (تتراجع مبتعدة عنه ولكنها تظل شامخة الرأس تحاول جاهدة شق طريقها) لقد فك الشيطان من عقاله فى سالم يا مستر بروكتور . يجب أن نكتشف المكان الذى يختبىء فيه .

بروكتور وأنا سأطرد بهذا السوط شيطانك (يندفع إليها بسوط مرفوع ولكنها تزوغ منه صارخة)

ماري (مشيرة إلى اليزابيث) لقد أنقذت حياتها اليوم . .

(سكون . سوطه ينخفض) .

اليزابيث (بنعومة) أنا . اتهمت ؟

ماري (بنوع من التعالى الآن) نوعا ما . ذكروا اسمك . ولكنى قلت لهم إننى لم أرها ترسل روحها لأذى إنسان ، ونظرا لمعرفتى اللصيقة بك لأنى أعمل معك فقد صدقونى وصرفوا نظرا عن الموضوع ..

اليزابيث ومن اتهمنى .. ؟

ماري لقد أقسمت ألا أبوح بأى شىء لأى أحد . . (إلى بروكتور) وأرجو من الآن فصاعدا ألا تشك فى كلامى . . لقد كان يجلس على مائدة الطعام معنا أربعة قضاة ونائب المحافظ منذ أربع ساعات فقط . لابد أن .. أن تراعي حدود الأدب فى كلامك معى بعد اليوم .

بروكتور (مشمئزا) اذهبي إلى غرفتك .

ماري لن يأمرني أحد بالذهاب إلى غرفتي بعد اليوم اسمع يا مستر بروكتور . أنا الآن في الثامنة عشرة وامرأة أيضاً ولو أني لم أتزوج ..

بروكتور هل تريدين أن تظلي ساهرة معنا . ابقي كما تشائين إذن .

ماري بل أريد أن اذهب إلى غرفتي . .

بروكتور (في غضب) اذن عمت مساء . .

ماري عما مساء (غير راضية أو متأكدة من نفسها فتذهب ويبقى بروكتور وزوجته محلقين من الدهشة) .

اليزابيث أوه الخية . الخية . أتقنوا وضعها . .

بروكتور لن تكون هناك خيات . .

اليزابيث إنها تريد موتي . . . كنت أعرف طيلة الأسبوع أن المسألة ستنتهي هذه النهاية . .

بروكتور (غير مقتنع) سمعتها تقول إنهم صرفوا نظرا عن اتهامك . .

اليزابيث وماذا عن الغد ؟ إنها ستظل على اتهامها لي حتى يأخذوني .

بروكتور اجلسي . .

اليزابيث إنها تتمنى الموت لي يا جون . أنت تعرف ذلك .

بروكتور قلت اجلسي (تجلس راعشة.. يتكلم بهدوء محاولا التحكم في أعصابه) والآن يجب أن نكون أكثر حكمة يااليزابيث .

اليزابيث (متهكمة وتحس كما لو كانت حائرة) أوه . تمام . تمام . . .

بروكتور لا تخشي شيئا . سأجد حزقيال شيفر . . سأسرد عليه كيف ذكرت لي أنهن كن يرقصن ويمرحن . .

اليزابيث جون . أظن أنه بعد أن أصبح كل هؤلاء في السجن صارت الحاجة ماسة لأكثر من مساعدة شيفر . . . هلى تسدى إلى معروفا وتذهب إلى ابيجال .

بروكتور (يقسو وقد اتضح له هدفها) ولماذا تريدين منى الذهاب إلى ابيجال.

اليزابيث (برقة) جون . اسد إلى هذا المعروف . . . إنك لا تفهم الفتيات

الصغيرات . هناك وعد قد يحصلن عليه على الفراش ...

بروكتور (يحاول تهدئة غضبه) أى وعد ..

اليزابيث وعد بالفم أو وعد صامت . على أى الحالين انهن يحصلن على وعد .. وسيظل هذا الوعد فى بالها . أنا متأكدة أنها ستظل تحلم به ليل نهار . وستحاول قتلى لتحل محلى .

بروكتور (غاضبا . انه لا يستطيع الكلام) .

اليزابيث إنه أقصى آمالها . أنا متأكدة مما أقول يا جون. هناك غيرى كثيرون فلماذا تصر على ذكر اسمى من دون الأسماء كلها ؟ هناك خطر معين من ذكر هذا الاسم . أنا لست جودى جود التى تنام فى الحفر ولست أوسبورن المخمورة المجنونة إنها لاتجرؤ على إثارة اسم زوجه مزارع مالم تكن هناك فائدة من ذكر هذا الاسم . وأى فائدة ؟ إنها تريد أن تستولى على مكانى كزوجة لك يا جون .

بروكتور لا يمكن أن تفكر فى شىء من ذلك (يعرف أن كلامها صادق .)

اليزابيث (بتعقل) جون ـ هل أظهرت لها يوما مانوعا من الاحتقار ؟ إنك لا تصادفها فى الكنيسة إلا ويحمر وجهك خجلا . .

بروكتور إنى خجل من خطيئتى . .

اليزابيت أظن أنها ترى معنى مخالفاً لمثل خجلك .

بروكتور وماذا ترين أنت. ماذا ترين أنت يا إليزابيث . ؟

اليزابيث أظن أنك تحس وقتها ببعض الخزى لأنى موجودة وهى قريبة منا هكذا . .

بروكتور متى ستعرفين زوجك ياامرأة ؟ لو كنت حجراً لا نشققت من الإحساس بالخزى طوال هذه الشهور السبعة .

اليزابيث إذن فاذهب إليها وقل لها إنها عاهرة . . تحلل من أى وعد قد تكون قطعته على نفسك . تحلل منه ياجون .

بروكتور (من بين أسنانه) إذن فأنا ذاهب (يذهب ليأخذ بندقيته)

اليزابيت (راعشة وخائفة) أوه كم أنت متردد .

بروكتور (يستدير إليها وبندقيته فى يده) سألتها لعنات أقسى وأحر من نارجهنم . . . ولكنى أرجوك ألا تستهينى بغضبي وثورتى . .

اليزابيث غضبك . أنا أسألك فقط .

بروكتور أيتها المرأة . أأنا وضيع إلى هذه الدرجة . هل تظنيننى حقاً بمثل هذه الوضاعة .

اليزابيث أنا لم اصمك بالوضاعة أبداً .

بروكتور إذن فكيف تتهميننى بوعد كهذا .

اليزابيث إذن فلماذ تغضب منى إذا سألتك أن تتحلل منه .

بروكتور لأن ما تصميننى به يدل على الانحطاط وأنا رجل أمين : ولكنى لن استجدى مرة أخرى . إنى أرى الآن روحك تتشبث بالغلطة الوحيدة فى حياتى وتلتف حولها ولن أستطيع تحريرها من اسارها قط .

اليزابيث (صارخة) ستحررها عندما تتأكد أنى سأكون زوجتك الوحيدة أو أنك لن تكون لك زوجة بعدى أبداً . . . إنها ما زالت تأسرك ياجون بروكتور وأنت تعلم ذلك جيداً . . (يظهر شخص فى مدخل البيت فجأة وكأنه هبط من السماء يفاجآن . إنه مستر هال . تغير الآن . . حزين نوعا ما ـ وهناك شعور بالذنب يغلفه) .

هال مساء الخير . .

بروكتور (ما زال تحت تأثير المفاجأة) آه . مستر هال . مساء الخير ياسيدى تعال . ادخل .

هال (إلى اليزابيث) أرجو ألا أكون قد أزعجتك ..

اليزابيث لا . لا .. فقط لم نسمع صوت مقدمك ..

هال أنت زوجة بروكتور .

بروكتور أى . اليزابيث ..

هال (يومئ برأسه) أرجو ألا يكون موعد نومكما قد حل ..

بروكتور (يضع بندقيته جانباً) لا . لا (يقترب هال داخل الحجرة أكثر)

إننا لم نعتد على الزوار بعد حلول الظلام ولكنك فى بيتك هنا ... خذ راحتك واجلس يا سيدى .

هال أشكرك (يجلس) اجلسى يا مسز بروكتور ..

(تجلس ولا تدعه يغرب عن نظرها . هناك صمت بينما هال يجيل نظره فى الحجرة) .

بروكتور (ليقطع الصمت) أتشرب عصير التفاح يا مستر هال ؟

هال أشكرك معدتى لا تتحمله . على أن أستأنف السفر الليلة لذلك أرجوك أن تستريح وتجلس يا سيدى (يجلس بروكتور) لن أعوقك طويلا ولكنى أريد أن أنهى بعض المسائل معك .

بروكتور مسائل خاصة بالمحكمة ؟.

هال لا . ما جئت إلا من نفسى . لم تفوضنى المحكمة فى المجىء اسمعانى (يبلل شفتيه) لا أدرى ما إذا كنت قد علمت أم لا . ولكن اسم زوجتك قد ذكر فى المحاكمة ..

بروكتور عرفنا يا سيدى . أخبرتنا بذلك خادمتنا مارى وارين ولقد دهشنا .

هال أنت تعلم أنى غريب هنا ،ولذلك أجد صعوبة فى تكوين رأى واضح عن الناس الذين اتهموا لجهلى بهم ، وأنا لهذا السبب بدأت فى زيارتهم فى بيوتهم منذ الظهيرة . والآن ولقد كنت منذ قليل فى بيت ربيكا نيرس و ...

اليزابيث (مصدومة) هل اتهموا ربيكا .

هال حاشا أن يتهموا إنسانة كهذه . ولكنها ـ على أية حال.ذكر اسمها .

اليزابيث (تحاول الضحك) أرجو ألا تصدق أن ربيكا تتعامل مع الشيطان .

هال أيتها المرأة من الجائز أن تكون كذلك .

بروكتور (مأخوذاً) لا يمكن أن تصدق ذلك .

هال هذا وقت عصيب يا سيد ، يجب إلا يشك أى إنسان فى تجمع قوى الظلام وإصرارها على مهاجمة هذه القرية . لقد عثرنا على أدله دامغة تدحض كل إنكار . أتوافقنى على ما أقول ؟

بروكتور (متجنبا الرد) أنا . لا علم لى بهذا الموضوع . ولكنى أجد من العسير على نفسى أن أصدق أن تكون إمرأة مثلها على صلة بالشيطان بعد أن قضت سبعين سنة فى تعبد وصلاة .

هال بالطبع ولكن الشيطان له خططه الغريبة وأنت لن تنكر أنه لئيم . ومع ذلك فهى لم تتهم بعد ولن يتهموها غالبا . (صمت) ولقد قدمت اليوم يا سيدى كى اتأكد من مدى إيمان سكان هذا البيت ، فاسمح لى أن أوجه إليكم بعض الأسئلة .

بروكتور (ببرود وكراهية) ولم لا . نحن . لا نخشى الأسئلة يا سيدى .

هال حسن إذن . (يجلس معتدلا ليريح نفسه أكثر) لقد لاحظت فى دفتر السيد باريس أنك لا تذهب إلا نادرا إلى الكنيسة أيام الأحد .

بروكتور أنت مخطىء يا سيدى .

هال لقد ذهبت ستا وعشرين مرة فى سبعة عشر شهرا يا سيدى . هذ اسميه ندرة . هل تسمح بذكر أسباب تغيبك هذا الكثير .

بروكتور ياسيد هال . لم أكن اعلم أن على أن أقدم كشف حساب لهذا الرجل عما إذا كنت أنتوى المكوث فى البيت أو الذهاب إلى الكنيسة . لقد كانت زوجتى مريضة طوال الشتاء .

هال هكذا أخبرونى وكن أنت . أنت . لماذا لا تذهب بمفردك .

بروكتور لقد ذهبت كلما استطعت . وعندما لم يتيسر لى الأمر كنت أصلى فى البيت .

هال يا سيد بروكتور. إن بيتك ليس كنيسة . يجب أن تعلم ذلك من دينك

بروكتور فعلا يا سيدى . هذا صحيح . ولكن دينى يقول كذلك إن القسيس لا يجب أن يكون لديه شمعدانات من الذهب فوق المذبح .

هال أية شمعدانات من الذهب ؟

بروكتور منذ بنينا الكنيسة كانت شمعدانات المذبح من الزنك . صنعتها فرانسيس نيرس كما تعلم بنفسها ، ولم تقربها من يومها يد أرق من يدها . ولكن

باريس قدم وظل يحاضرنا لمدة عشرين يوما عن الشمعدانات الذهبية حتى احضرناها له . وأنا أحرث الأرض من الفجر حتى حلول الليل ، وأقول لك الحقيقة ، كلما اقتربت من المدبح لأصلى وأقترب بنفسى من السماء رأيت نقودى تلمع عند كوعه عندئذ تذوب صلاتى ويتشتت فكرى .

إنى اعتقد أن الرجل يحلم بأن تكون له يوما ما كاتدرائية بدلا من كنيسة كهذه متواضعة .

هال (يفكر) ومع ذلك يجب أن يذهب المسيحى يوم الأحد إلى الكنيسة يا سيد (سكون) قل لى عندك ثلاثة أطفال .

بروكتور نعم . بنون .

هال فكيف إذن عمدت اثنين منهم فقط

بروكتور (يبدأ فى الحديث ثم يتوقف ثم يبدو كما لو كان لا يستطيع ان يمنع نفسه) إنى أكره أن يضع السيد باريس يديه على طفلى . إنى لا أرى لله نورا فى هذا الرجل . لن أخفى ما بنفسى بعد ذلك .

هال يجب أن أذكرك ياسيد بروكتور أنك لاشأن لك بهذا الرجل وتدينه لقد درس اللاهوت وهو لذلك لا يتحدث إلا بما يأمر به الله . .

بروكتور (طفح كراهية ولكنه يحاول الابتسام) ماذا توجه لنا من اتهام ياسيد هال .

هال لا . لا . أنا لا . . .

بروكور أنا سمرت سقف الكنيسة . وركبت الباب . .

هال أوه صحيح هذه دلالة طيبة إذن . .

بروكور ربما كنت متسرعا فى الحكم على الرجل ولكنى لم أكن بذلك راغبا فى مهاجمة الدين نفسه . . أظن هذا مايجول فى ذهنك عنى . أليس كذلك ؟

هال (لا يستسلم تماما) أنا رأيت هنـــاك شيئاً .. ثغرة فى حياتك ياسيدى .. ثغرة .

اليزابيث أظن أننا ربما كنا متجنين كثيراً على السيد باريس . . هذا ظنى .
ولكننا لم نحب الشيطان بالتأكيد .

هال (يهز رأسه موافقا ثم يقول بصوت خفيض متمهل كما لو كان يقول
سراً) هل تعرفين وصاياك العشر يا اليزابيث ؟

اليزابيث (بلا تردد وحتى فى لهفه) بالتأكيد . أنا لم ارتكب وزراً فى حياتى
ياسيد هال وكنت دائما سيدة مسيحية مؤمنة . .

هال وأنت ياسيد ؟

بروكتور (بلا اهتمام) بالطبع ياسيدى .

هال (ينظر إلى وجهها الصريح ثم إلى وجه جون ثم يقول) فهل تتفضل
بتسميعها لى لو سمحت .

بروكتور الوصايا ؟

هـال نعم . . .

بروكتور (ينظر أمامه ويتصبب عرقاً) يجب ألا تقتل . .

هـال نعم . .

بروكتور (يعد على أصابعه) يجب ألا تسرق . . . يجب ألا تحسد جارك نعمه
ولا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة . لا تقسم باسم الرب إلهك
حنثاً . ولا يكن لك آلهة أخرى أمامى (ببعض التردد) اذكر
يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم
السابع ففيه سبت للرب . . (صمت ثم يقول) أكرم أباك وأمك
لكى تطول أيامك على الأرض . لا تشهد على قريبك شهادة زور .
(يصمت فى حيرة . يبدأ فى العـــد مرة أخرى هامساً . يعلن أن
واحدة ناقصة)

هـال لقد قلتها مرتين ياسيدى . .

بروكتور (فى حيرة) نعم (يحاول تذكرها بلا جدوى)

اليزابيث (برقة) الزنا ياجون . .

بروكتور (كما لو كان سهم قد أصاب قلبه) نعم .. (يحاول استدراك مافاته)
أرأيت ياسيدى .. بيننا نحن الإثنين نعرف وصايانا جيداً (ينظر هال

فقط إلى بروكتور محاولا تكوين فكرة عن هذا الرجل وبروكتور لا يستريح إلى نظراته) وأظن أنى أخطأت خطأ بسيطاً . .

هـال الدين ياسيدى قلعة . وأى شرخ فى القلعة لايعتبر بسيطاً . (يقف . إنه حائر الآن . يخطو قليلا ى تفكير عميق) .

بروكتور إننا لا نحب الشيطان هنا ياسيد . .

هال هذا ما أرجوه واتمناه يا عزيزى . (ينظر إليها ويحاول الابتسام ولكن تظهر على وجهه علامات خيبة الأمل) حسن إذن . أرجو لكما ليلة طيبة . .

اليزابيث (لاتستطيع منع نفسها) مستر هال ... (يستدير) أعتقد أنك تشك ى بعض الشك ؟ أليس كذلك ؟

هال (مضطربا ولكنه يحاول الهروب) أنا لست قاضيا يامستر بروكتور . واجبى يتلخص فى تقديم تقرير للمحكمة . عما ألمسه . وأنا أرجو لكما أنتما الاثنين كل صحةوسعادة (إلى جون) مساء الخير ياسيدى(يذهب)

اليزابيث (برنة يأس) يجب أن تخبره يا جون . .

هال يخبرنى عن ماذا ؟

اليزابيث (تكتم صرخة) هلا أخبرته . .

(صمت بسيط هال ينظر مستفسرا لجون)

بروكتور (بصعوبة) أنا لا أملك شاهدا على ما أقول ولا أستطيع إثباته إلا إذا كنتم تثقون ى كلمتى ولكنى متأكد أن مرض الأطفال لاعلاقه له بالسحر . .

هال (يقف مندهشا) لا علاقة له بـ ... ؟

بروكتور لقد عثر عليهن السيد باريس فى الغابة يلعبن فأخذن ومرضن . .

(صمت)

هال ومن قال لك ذلك ؟

بروكتور (بتردد) ابيجال وليامز

هال ابيجال ؟!

بروكتور نعم . .

هال (عيناه تتسعان) ابيجال وليامز ذكرت لك أن مرضهن لا علاقة له بالسحر .

بروكتور أخبرتنى بذلك فى اليوم الذى قدمت فيه أنت ياسيدى .

هال (بشك) ولماذا ـ لماذا كتمت هذا الأمر ؟

بروكتور لم أعلم حتى هذه الليلة أن القرية كلها قد جنت بهذه السخافة ..

هال سخافة . ياسيدى لقداستجوبت بنفسى تيتيوبا وسارة جود وأخريات غيرهما ممن اعترفن بعلاقتهن بالشيطان ولكنهن معترفات .

بروكتور ولماذا لايعترفن مادامو ا يهددونهن بالشنق إن لم يفعلن؟ هناك أشخاص تقبل أن تقسم على أى شىء خوفا من المشنقة . ألم تفكر فى ذلك من قبل ؟

هال فكرت ـ فكرت فعلا . . (إنه يشك ولكنه يقاوم شكه . ينظر إلى اليزابث ثم إلى جون) وأنت هل تشهد على ماتقول فى المحكمة .

بروكتور أنا ـ لم أحسب حساب الذهاب إلى المحكمة ولكن لو كان لابد من ذلك فسأذهب .

هال هل بدأت تتراجع . .

بروكتور أنا لم أتراجع ولكنى أشك أن يصدقونى فى محكمة كهذه . أنا مندهش كيف يشك قسيس عاقل مثلك فى سيدة لم تكذب فى حياتها ولا تستطيع أن تكذب ، والدنيا كلها تعرف أنها لا تكذب!! فى هذه الحالة فأنا قد أتردد قليلا ياسيدى .. أنا لست مغفلا .

هال (بهدوء ـ لقد تأثر بكلامه) بروكتور . كن صريحاً معى الآن . هناك شائعات تقلقنى . انهم يقولون إنك لا تعتقد فى السحر فهل هذا صحيح ؟ هل قلت للناس إنك لا تعتقد فى العمل ؟

بروكتور (يعرف مقدار خطورة جوابه ولكن يقاوم كبت احتقاره واشمئزازه من هال ومن نفسه لإجابته) لا اعرف ماذا قلت ربما أكون قد قلت ذلك ـ لقد تساءلت عما إذا كان هناك سحر حقيقة فأنا لا أرى شيئاً منه الآن فى عالمنا اليوم ، ولا أعتقد فى وجوده بيننا.

هال إذن فأنت لا تعتقد .

بروكتور أنا لا أعلم شيئاً عنه فكيف أعتقد فيه ؟

هال وأنت أيتها المرأة .

بروكتور أنا ـ لا يمكننى الاعتقاد فيه .

هال (مصدوما) لا يمكنك ؟

بروكتور اليزابيث ؟

اليزابيث (إلى هال) لا يمكننى أن اتصور أن فى استطاعة الشيطان امتلاك روح امرأة مستر هال لن يستطيع الشيطان امتلاكها ما دامت حياتها مستقيمة كحياتى . إنى امرأة صالحة وهذا اعتقادى فى نفسى ، فإذا رأيت أنى برغم استقامتى وعملى الطيب قد أسير فى ركب الأبالسة فإنى أجد من واجبى أن أذكرك ياسيدى بخطئك .

هال ولكنك ياامرأة تعتقدين بإمكان وجود السحر فى —

اليزابيث إذا كنت ترى أنى مثلا أزاوله فإنى أقول لك إنه لا وجود له .

هال ولكن ورد فى الإنجيل . الإنجيل . أتنكرين الإنجيل !

بروكتور إنها تعتقد فى الإنجيل . كل كلمة فيه ؟

اليزابيث استجوب ابيجال وليامز لما ورد فى الإنجيل وابتعد عنى أنا .

(هال يحملق فيها) .

بروكتور أنها : تقصد إنكار ما جاء بالإنجيل وإننا مسيحيون يا سيدى وبيتنا بيت مسيحى .

هال يحفظكما الله كليكما . عمدا الطفل الثالث بسرعة واذهبا إلى الكنيسة أيام الآحد بلا انقطاع وحافظا على استقامتكما إنى أعتقد —

(يدخل جايلز كورى)

جايلز جون .

بروكتور جايلز ؟ ماذا جرى .

جايلز أخذوا زوجتى.

(يدخل فرانسيس نيرس) .

جايلز : وزوجته ربيكا ؟

بروكتور : ربيكا فى السجن .

فرانسيس نعم . جاء شيفر وأخذها فى عربته . لقد قدمنا تواً من السجن ولم يسمحوا لنا حتى برؤيتهم .

اليزابيث : لقد جنوا يا مستر هال ؟

فرانسيس (يذهب إلى هال) يا صاحب القداسة ؟ ألا تستطيع الشفاعة لنا عند نائب المحافظ لقد أخطأنا .

هال أرجوك أن تهدأ يا مستر نيرس .

فرانسيس إن زوجتى عمود من أعمدة الكنيسة يا سيد هال (يشير إلى جالينز) ومرتا كورى هل هناك امرأة أقرب إلى الله من مارتا .

هال ما هى التهمة الموجهة إلى ربيكا يا مستر نيرس ؟

فرنسيس (بسخرية ونصف ضحكة ساخرة) يتهمونها بالقتل ؟ بقتل أطفال مسز بوتنام قتلا سحريا . ماذا أفعل يا سيد هال :

هال (يستدير بعيداً عن نيرس وقد اضطرب اضطرابا عميقاً) صدقنى يا سيدى نيرس لو أن ربيكا بريئة فلن يجرؤ أحد على مس شعرة من رأسها . اعتمد على عدالة المحكمة . وأنا أعلم أن المحكمة ستبرئها وستعيدها إلى بيتها .

فرانسيس هل تقصد أنهم سيحاكمونها أولا فى المحكمة .

هال (راجياً) نيرس مع أن قلوبنا تتصدع إلا أننا لا ننهار . هذا وقت عصيب يا سيد هناك شيء غامض فى جو بلدكم لذلك أرى ألا جدوى من الصداقات القديمة . لقد رأيت أشياء رهيبة فى المحكمة — إن الشيطان حى يرزق فى ساليم . نحن لن نخاف من اقتحام الأماكن التى تمد إليها إصبع الإتهام .

بروكتور (غاضباً) وكيف تقتل سيدة كهذه أطفالا ؟

هال (فى ألم هائل) أيها الرجل تذكر أن إبليس كان طيباً قبل أن يأثم بساعة .

جايلز أنا لم أقل إن زوجتى تمارس السحر يا سيد هال لقد ذكرت أنها تقرأ الكتب فقط .

هال يا سيد كورى . ما هى التهمة الموجهة إلى زوجتك بالضبط ؟

جايلز هذا الكلب المجرم والكوت هو الذى يتهمها . اسمع يا سيدى لقد اشترى خنزيراً من زوجتى من أربع أو خمس سنوات ، ومات الخنزير بعدها مباشرة . وعاد الرجل إلى زوجتى يطالبها بالنقود فقالت له زوجتى . والكوت إذا لم يكن يطاوعك قلبك على إطعام الخنازير كما يجب فلن يبقى لديك خنزير حى أبداً . وذهب إلى المحكمة وطالب باسترداد ثمن الخنزير ثم أخذ يشيع أنه لا يمتلك خنزيراً إلا ويموت بعد أربعة أسابيع على الأكثر لأن زوجتى تسحر له .

(يدخل حزقيال شيفر . صمت كالموت)

شيفر مساء الخير يا بروكتور .

بركتور من — شيفر مساء الخير .

شيفر مساء الخير جميعاً . مساء الخير يا سيد هال .

بروكور أرجو ألا يكون قدومك من قبل المحكمة .

شيفر نعم يا بروكتور نعم إنى أعمل الآن مسجل المحكمة كما تعلم .

(يدخل مارشال هيريك وهو رجل فى الثلاثين من عمره — وهو فى هذه اللحظة خجل) .

جايلز إنها لمهزلة يا حزقيال أن يحرق خياط كان يجب أن يدخل الجنة . أن الله سيعاقبك وستعلم ذلك فى حينه .

شيفر إنك تعلم أنى عبد مأمور أنت تعلم ذلك جيداً يا جايلز . وتعلم أيضاً أنى لا أتمنى شيئاً على الله بقدر ما أتمنى أن أعفى من دخول النار فأنا أكره مجرد اسمها . (يبدأ فى البحث فى جيبه) أما عن نفسك يا بروكتور فأرجوا أن تصدقنى عندما أقول لك إن القانون شىء كريه

ثقيل يضغط بحمله على ظهرى هذه الليلة (يخرج أمراً بالقبض)
عندى أمر بالقبض على زوجتك .

بروكتور (إلى هال) قلت إنها غير متهمة .

هال لا علم لى بذلك (إلى شيفر) متى اتهموها .

شيفر لقد أعطونى ستة عشر أمراً بالقبض وهى واحدة منهن .

بروكتور ومن تهمها ؟

شيفر ابيجال وليامز .

بروكتور ومادليل اتهامها ؟ ماهو الدليل .

شيفر (ينظر حوله فى الغرفة) ياسيد بروكتور . ليس لدى وقت وقد طلبت إلى هيئة المحكمة تفتيش بيتك وأنا لا أميل إلى ذلك بطبعى لهذا أرجوك أن تسلمنى أية دمى تحتفظ بها زوجتك فى بيتك ؟

بروكتور دمى ؟

اليزابيث لم تكن لدى دمى منذ أن كنت بنتا

شيفر (مرتبكا ناظرا إلى رف المدفأة حيث تقف دميـــة مارى وارين) ولكنى ألمح دمية هناك يا مسز بروكتور .

اليزابيث (أوه ؟ تذهب اليها) إنها تخص مارى وارين .

شيفر (بخجل) فهل تسمحين بتسليمها لى ؟

اليزابيث (تناولها له وتسأل هال) وهل أصبحت الدمى تدين الناس الآن ؟

شيفر (يتناول الدمية بعناية) وهل لديك دمية أخرى هنا ؟

بروكتور لم تكن لدى دمية الآن ولا فى الماضى - وحتى هذه لم تكن عندنا حتى الليلة مامعنى وجود دمية فى البيت ؟

شيفر الدمية ؟ (يقلبها فى يده) إن الدمية قد تعنى - والآن أيتها المرأة هلا قدمت معى ؟

بروكتور لن تذهب معك ؟ (إلى اليزابيث) احضرى مارى هنا ؟

شيفر (يسرع إلى اليزابيث) لا ، لا . لقد أمرونى ألا أدعها تغرب عن بصرى .

بروكتور (يدفع ذراعه بعيدا عنها) ستدعها تغرب عن بصرك وذهنك ياسيد . احضرى مارى يا اليزابيث (تصعد اليزابيث الدرج)

هال — ماذا تعنى الدمية ياسيد شيفر ؟

شيفر — (يقلب الدمية فى يديه) إنهم يقولون أنها تعنى - (يرفع ثياب الدمية فتتسع عيناه دهشة من الخوف) بحق السماء ماهذا ؟ ماهذا ؟

بروكتور — (يمد يده إلى الدمية) ماذا هناك ؟

شيفر — (يخرج مسلة كبيرة من الدمية) إنها مسلة ؟ هيريك ؟ هيريك ؟ وجدت مسلة ؟ (يتقدم هيريك منه)

بروكتور — (بغضب وحيرة) وما معنى وجود المسلة ؟

شيفر — (ترتعش يداه) إن ذلك يدينها يابروكتور لقد تحققت شكوكى إنها مصيبة (إلى هال عارضا عليه المسلة) مسلة يا سيد هال .

هال — وماذا تعنى . إنها مجرد مسلة ؟

شيفر — (عيناه متسعتان ويرتعد) الفتاة ابنة وليامز ابيجال وليامز ياسيدى كانت تجلس على الغداء فى بيت خالها القسيس باريس وفجأة وبلا مقدمات سقطت على الأرض كالحيوان المذبوح وأخذت تصرخ صرخات تمزق نياط القلب ، فأسرع خالها اليها لينقذها وعندئذ وجد مسلة مغروسة فى لحم بطنها لمسافة بوصتين . أخرجها واستجوبها عن كيفية إصابتها بها وشهدت الفتاة (إلى بروكتور) بأن روح زوجتك هى التى سددتها اليها

بروكتور — أنها هى التى فعلت ذلك بنفسها (إلى هال) أرجو إلا تعتبر ذلك دليل إدانة عليها ياسيد ؟

(هال وقد أقنعه الدليل يصمت) .

شيفر — اليس هذا دليلا (إلى هال) لقد وجدت دمية من دمى مسز بروكتور . لقد وجدت الحل ياسيدى وكانت فى بطن الدمية مسلة ـ مغروسة . أقول لك الحق يابروكتور أنا لم أعثر فى حياتى على دليل دامغ كهذا . لذلك أرجو ألا تعترض طريق لأنى .

(تدخل اليزابيث ومعها مارى وارين بروكتور يرى مارى وارين فيسحبها من ذراعها إلى هال) .

بروكتور — مارى !! أسمعى وأجيبينى مباشرة كيف جاءت هذه الدمية إلى بيتى ؟

ماري وارين (خائفة على نفسها فيخرج صوتها ضعيفا) أية دمية تقصد ياسيدى ؟
بروكتور (بصبر يشير إلى الدمية التى فى يد شيفر) هذه الدمية . هذه الدمية ؟
ماري وارين (تعيد النظر إليها) أظن أنها ملكى ؟
بروكتور أليست دميتك
ماري وارين وكيف جاءت إلى هذا البيت ؟
ماري وارين (تنظر إلى الوجوه المحملقة) لقد صنعتها أثناء تواجدى فى المحكمة ياسيدى ثم أهديتها إلى مسز بروكتور هذه الليلة .
بروكتور (إلى هال) والآن ياسيدى هل قنعت .
هال ماري وابين . لقد وجدنا مسلة داخل بطن الدمية .
ماري وارين وماذا فى ذلك ؟ أنا لم أقصد ضرر إنسان يا سيدى
بروكتور (بسرعة) هل وضعت المسلة فى بطنها بنفسك
ماري وارين أعتقد انى غرستها فيها بنفسى . لقد -
بروكتور (إلى هال) ما قولك الآن ؟
هال (يرقب ماري وابين عن قرب) ياطفلتى هل أنت متأكدة مما تقولين ؟ ربما أنت واقعة تحت تأثير روح من الأرواح وهى التى تملى عليك ما تقولين .
ماري وارين واقعة تحت تأثير روح ؟ لا ياسيدى . أنا متمالكة لكامل قواى العقلية . اسأل سوزان والكوت لقد رأتنى وأنا أخيطها فى المحكمة . اسأل ابنة ابيجال كانت تجلس بجوارى عندما أتممتها .
بروكتور (إلى هال بخصوص شيفر) قل له يذهب لقد اقتنعت الآن واسترحت . قل له ينصرف ياسيد هال .
اليزابيث وماذا تعنى المسلة .
هال لقد طعنت ابيجال الليلة . وجدت لمسلة مغروسة فى بطنها .
اليزابيث وتتهمنى بما حدث لها ؟
هال نعم
اليزابيث (تلهث) يالله لقد جنت الفتاة . أفقدت عقلها كلية . انتهت .
شيفر (مشيرا إلى اليزابيث) لقد سمعت ياسيدى . انتهت . هيريك . اسمعت .
بروكتور يخطف أمر القبض من يد شيفر فجأة) اخرج من بيتى ؟

شيفر بروكتور . لن تجرؤ على تمزيق أمر القبض .

بروكتور (ممزقا الأمر) اخرج من بيتى .

شيفر لقد اعتديت على أوامر المحكمة يارجل

بروكتور لتسقط المحكمه اخرج من بيتى .

هال بروكتور . بروكتور

بروكتور اخرجهم من هنا ؟ أنت قسيس محطم .

هال بروكتور . لو كانت بريئة فالمحكمة .

بروكتور لو كانت بريئة ؟ لماذا لا تسأل نفسك وهل باريس برىء أو بيجال وليامز ؟ هل أصبح الجانى معصوما من الخطأ الآن ؟ هل ولدوا الليلة فقط لطهارا لا يأتيهم الباطل ؟ أنا الذى سيقول لك ماذا حدث لساليم ومن الذى يحكمها الآن ـ إنه الانتقام .. الانتقام يحكم ساليم . إننا اليوم ماكناه دائما بالأمس ، ولكن الأطفال هم الذين يملكون مفاتيح الملك هـــذه الساعة والانتقام العام هو الذى يملى القانون!! أمر القبض هذا انتقام . وأنا لن أسلم امرأتى للانتقام ؟

اليزابيث بل سأذهب ياجون ـ

بروكتور لن تذهبي!!

هيريك إن القوة التي معى تتكون من تسعة رجال . كلهم بالخارج رهن إشارتى . أفسح لها الطريق . القانون هو القانون ياجون .

بروكتور (إلى هال يكاد يفتك به) أتتركهم يقبضون عليها ؟

هال بروكتور . المحكمة . عادلة ـ

بروكتور أيها القاتل كيف تغتسل من دمها أمام الله ؟

اليزابيث جون ـ أظن أنه يجب أن أذهب معهم (لا يستطيع النظر إليها) مارى ـ هناك خبز كفاية حتى الصباح اخبزى بعد الظهر . وساعدى مستر بروكتور كما لو كنت ابنته إنك مدينة لى بذلك ـ وأكثر منه (تغالب دموعها ـ (إلى بروكتور) عندما يستيقظ الأولاد لا تقل لهم شيئا عن حديث السحر ـ سيخافون . (لا تستطيع الذهاب)

بروكتور ستعودين إلى بيتك . ستعودين قريبا .

اليزابيت أوه جون عدي قريبا .

بروكتور سأجرف هذه المحكمة كالمحيط . لا تخشى شيئا يااليزابيث.

اليزابيث (بخوف عظيم) لن أخش شيئاً . (تنظر حولها فى الحجرة كما لو كانت تحفظها بعقلها) قل للاولاد إنى ذهبت أعود مريضة .

(تخرج من الباب وخلفها هيريك وشيفر بروكتور يراقبها من الباب للحظة . تسمع صوت سلسلة القيد الحديدى)

بروكتور هيريك . هيريك . لا تقيدها بالحديد (يندفع خارج الحجره من الخارج) لن تقيدها ياملعون ؟ انزع قيدك عنها . لن أسمح لك بتقييدها . لن تقيد زوجتى أبداً (هناك أصوات رجال آخرون إلى جانب صوته . هال فى حمى الشك والشعور بالذنب يبتعد عن الباب كى لا يرى المنظر . تندفع مارى وابين باكيه بصوت عال . ينادى جايلز كورى على هال .

جايلز وما زلت صامتا أيها القسيس ؟ إنها مؤامرة وأنت تعلم أنها لكذلك فما الذى يبقيك صامتا يارجل ؟

(يدخل رجلان ببروكتور محتضنينه ويدفعانه أمامهما ومعهما هيريك ؟

بروكتور سأرد لك الكيل ياهيريك سأنتقم منك .

هيريك (لاهثا) أقسم لك بالله ياجون أنى أفعل ماأفعله كارها . لقد أمرت أن أقيدهن كلهن أرجوك ابق داخل المنزل حتى أذهب يخرج مع زملائه .

(بروكتور يقف هناك يبتلع ريقه وأنفاسه بصعوبة . تسمع صوت عربة وخيل مسرعة)

هال (فى شك هائل) ياسيد بروكتور ـ

بروكتور اغرب عن وجهى .

هال	الرحمة يابروكتور !! الرحمة !! لن أخشى أن أشهد بما سمعته فى صالحها ليلهمنى الله الحكمة فأنا عاجز عن الحكم عليها بالإدانة أو البراءة - أنا فى حيرة أرجوك أن تضع فى ذهنك ما سأذكره لك: لقد جنوا ولن يفيدك أن تلوم فتاة غريرة مثل أبيجال على ما حدث وتتهمها بالانتقام .

بروكتور	أنت جبان !! أنت جبان ولو أنك تحمل كلام الله ! !

هال	بروكتور . إن الله وكلامه خارج عن نطاق هذه القضية الوضعية . السجون ممتلئة وقضاتنا الأكابر يتربعون على عرش ساليم الآن . ويتوعدون الناس بالإعدام . هيا نبحث عن السبب يا رجل ربما ارتكبت جريمة قتل ولم تعاقب مقترفها ربما ارتكبت مؤامرة هنا ربما أثم أحدهم إثماً عظيما ؟ فكر فى سبب لكل هذا يا رجل وساعدنى فى إماطة اللثام عنه . هذا هو طريقك - طريقك الوحيد إذا عم الخطب وخيم الظلام على الأرض .

(يذهب إلى جايلز وفرانسيس) تشاوروا فيما بينكما فكرا فى الله وفيما قد يكون قد حدث هنا مما يغضب الله ويجلب عليكم كلكم سخطه . أرجو من الله أن يفتح عيوننا .

(يخرج هال)

فرانسيس	(وقد أخذ بكلام هال) لم أسمع بحادثة قتل فى ساليم
بروكتور	(متأثراً بكلام هال) دعنى يافرانسيس أرجوك دعنى .
جايلز	(مذعورا) جون . قول لى هل ضعنا .
بروكتور	اذهب إلى بيتك الآن يا جايلز سنتحدث غداً .
جايلز	إذن فكر فى الأمر وسأكون عندك باكر ؟
بروكتور	نعم اذهب الآن ياجايلز .
جايلز	إذن عم مساء

(يذهب جايلز كورى . بعد لحظة)

ماري وارين (فى صوت راعش خائف) مستر بروكتور ربما فكوا إسارها وتركوها تعود لبيتها لو سمعوا شهادة فى صالحها .

بروكتور ستأتين معى إلى المحكمة يا ماري وستقصين عليهم ما قلت .

ماري وارين ولكنى لا أستطيع أن اتهم ابيجال بالقتل .

بروكتور (يندفع إليها مهدداً) ستقصين على المحكمة كيف جاءت الدمية إلى البيت ومن الذى غرس فيها المسلة .

ماري وارين ستقتلنى لو قلت ذلك ؟ (يستمر بروكتور اتجاهها) ستتهمك آبى بجريمة الزنا يامستر بروكتور .

بروكتور (مترددا) أقالت لك ذلك .

ماري وارين لقد علمت ذلك ياسيدى. ستحطمك بما ستقوله .

بروكتور (مترددا وفى كراهية عميقة لنفسه حسن . وإذن تنتهى قداستها وينكشف تمثلها (تتراجع ماري مبتعد عنه) ولكنا سنذهب سويا إلى المحكمة وستقصين عليهم ما تعرفينه .

ماري وارين (فى فزع) لا أستطيع . سيقتصون منى .

(يخطو بروكتور ويمسك بها فتردد هى : لا أستطيع : لا أستطيع؟

بروكتور لن تموت زوجتى بسببى : سأخرج أمعاءك من فمك قبل أن تموت زوجتى الطيبة بسببى .

ماري وارين لا أستطيع . لا أستطيع : (تحاول الإفلات منه)

بروكتور (ممسكا بها من زورها كما لو كان سيقتلها) إذن فسأكتم أنفاسك ومعها الحقيقة ترحى على روحك التى سأزهقها بيدى (يلقيها على الأرض حيث تنهنه لا أستطيع لا أستطيع : ثم يحدث نفسه محلقاً ويذهب إلى الباب المفتوح) السلام إنها العناية الإلهية لم يحدث تغير كبير . نحن الآن ما كناه دائماً ولكننا فقط عرايا الآن . (يسير كما لو كان لهول فظيع مواجهاً السماء) نعم عرايا!! والرياح رياح الله العاتية ستعصف!!

(وهى تنهنه من جديد لا أستطيع : لا أستطيع : بينما الستار يسقط)

(أضيف هذا المشهد إلى الفصل الثانى عندما راجع ميللر روايته للمرة الثانية إثر انتاجها لأول مرة فى نيويورك فى يوليو سنة ١٩٥٢)

المشهد : غابة والدنيا ظلام .

(يظهر بروكتور ومعه فانوس . يدخل ناظرا خلفه ثم يتوقف رافعا الفانوس إلى أعلا : تظهر أبيجال وفوق رأسها شال وشعرها منسدل لحظه تساؤل صامتة)

بروكتور (باحثا) يجب أن أحدثك يا ابيجال (لا تتحرك ولكنها تحملق فيه) أرجوك أجلسى

ابيجال وكيف قدمت ؟

بروكتور كصديق .

ابيجال (تجيل عينيها فيما حولها) لا أحب الغابات فى الليل . اقترب منى لو سمحت (يقترب منها ولكن روحه تنأى عنها) لقد عرفت أنك أنت هو عندما سمعت صوت الحجارة الصغيرة تصطدم بالنافذة أدركت أنك هو قبل أن أفتح عينى . كنت أعلم إنك لابد آت يوما من الأيام .

بروكتور لقد فكرت فى الحضور مراراً

ابيجال لماذا لم تأت من قبل ؟ انى وحيدة الآن ـ وحيدة تماما .

بروكتور (بغير شماتة) صحيح : لقد سمعت أن الناس سيحضرون من بلاد نائية بعيدة كى يحظوا برؤيا وجهك هذه الأيام .

ابيجال نعم وجهى . هل تستطيع رؤية وجهى ؟

بروكتور (يرفع الفانوس بجانب وجهها) اذن فأنت غير راضية ؟

ابيجال هل قدمت لتسخر منى ؟

بروكتور (يضع الفانوس على الأرض ويجلس) لا . لا . ولكنى سمعت فقط أنك تذهبين الى الحانة كل ليلة وتلعبين القمار مع نائب المحافظ وتشربين معهم عصير التفاح .

ابيجال (كما لو كان هذا لا يهم) لقد لعبت مرة أو مرتين ولكنى لم أنسجم من القمار .

بروكتور (يحاول تملقها) لقد دهشت يا آبى كنت أظن أنك أكثر مرحا مما أنت

الآن . قالوا لى انك لا تخطين خطوة هذه الأيام دون أن يصحبك جمع من الصبيان .

ابيجال نعم هذا مايحدث . وهم يغازلوننى ، يطارحوننى الغرام بالنظرات .

بروكتور ولا يعجبك غزلهم ؟

ابيجال لم أعد أحتمل نظرات الغزل ياجون .. لقد تغيرت روحى كلية يجب أن ينظروا الى نظرات محترمة لأنى أقاسى من أجلهم .

بروكتور وكيف تقاسين يا آبى ؟

ابيجال (ترفع ثيابها) انظر الى ساقى لقد أصبحت كلها ثقوبا من مسلاتهم وابرهم اللعينة (تلمس معدتها) والطعنة التى سددتها الى زوجتك لم تشف بعد كما تعرف .

بروكتور (وقد أدرك أنها قد جنت الآن) أوه صحيح

ابيجال أحيانا أعتقد أنها تنكأها مرة أخرى كلما نمت .

بروكتور آه ..

ابيجال وجورج جاكوبز (ترفع كمها) كل يوم يأتينى ويضربنى بعصاه — فى نفس المكان كل ليلة طوال هذا الأسبوع ، انظر الى الورم ..

بروكتور آبى — جورج جاكبوز مسجون من شهر .

ابيجال الحمد لله أنه مسجون كم سأفرح عندما أعلم أنه شنق ، سأنام فى سلام ولن يؤرقنى فى السجن ، يقولون انهم يصلون جميعهم فى السجن ؟

بروكتور تريدين ألا يصلوا .

ابيجال ويعذبوننى فى سريرى بينما الكلمات المقدسة تخرج من شفاههم ؟ أوه ان هذه المدينـــة فى حاجة الى الله نفسه لكى يطهرها مما بها من أدران وأشرار ..

بروكتور آبى — هل تنوين تقديم آخرين الى المحاكم .

ابيجال اذا عشت ولم أقتل سأقدم آخرين حتى أرى آخر المنافقين ميتا أمامى

بروكتور ومن سيتبقى اذن ؟ هل كلهم أشرار

ابيجال نعم (برقة) كلهم إلا واحد ، انت هذا الواحد الطيب ..

بروكتور صحيح ؟ وكيف ..

ابيجال انك أنت الذى علمنى الطيبة لذلك فأنت طيب . لقد جعلتنى اعبر النار فاحترق جهلى .
لقد رقدنا فى النار أنا وانت ياجون فى تلك الليلة ومن يومها ما كانت تجرؤ أمراة على تلقيبي بالشريرة الا والقمها بالجواب السليم . ولكنك جئت فأشعلت النار فى وجهى ورأيتهم كلهم عرايا كشجرة ديسمبر - يسيرون كالقد يسين إلى الكنيسة ويجرون ليطعموا المرضى ولكنهم منافقون فى قلوبهم ، وألهمنى الله القوة أن اناديهم باسمائهم - كاذبين - والهم الله الرجال أن ينعموا إلى وسأستعين بالله واغسل العالم واطهره من طغمة الاشرار اوه ياجون سأكون لك نعم الزوجة عندما تصير الدنيا بيضاء مرة اخرى (تقبل يده فى عاطفة عرمة) ستدهش عندما ترانى كل يوم شعاعا من السماء فى بيتك ، و (ينهض ويتراجع للخلف خائفا ومندهشا) لماذا أنت مذعور هكذا ؟

بروكتور (فى لهجة جادة كأنما يؤدى عملا من الاعمال - ولكنه غير مرتاح لوجودها معه كأنما هو امام مخلوق غير ارضى) إن زوجتى ستقدم للمحاكمة ياابيجال .

ابيجال (من بعيد كأنما لايعنيها الامر) زوجتك ؟

بروكتور انت تعلمين ذلك .

ابيجال (تصحو على هذه الفكرة) نعم نعم تذكرت (كالواجب) كيف كيف - حالها الآن ؟ هل هى بخير ؟

بروكتور بخير كما ينبغى أن يكون عليه الخير بعد ستة وثلاثين يوما فى السجن .

ابيجال قلت انك قادم كصديق .

بروكتور انها لن تدان يا آبى

ابيجال (مشاعرها الدينية تتأثر - ولكنها تسأل) أواستدعينى من سريرى لكى تحدثنى عنها

بروكتور لقد قدمت يا آبى لكى احيطك علما بما سأفعله غدا فى المحكمة(وفضلت الا آخذك على غرة وان اتيح لك الوقت الكافى لتفكرى فى طريقة لانقاذ نفسك .

ابيجال (غير مصدقة - يتزايد خوفها) انقذ نفسى ؟

بروكتور إذا لم تحررى زوجتى غدا فأنا مصم على تحطيمك يا آبى .

ابيجال (يتضاءل صوتها — دهشة) كيف ستحطمنى .

بروكتور عندى من الادلة الدامغة ما يدحض رايك فى زوجتى ويثبت أنك كنت تعلمين عن وجود الدمية وانها ليست ملكا لزوجتى ، وانك انت نفسك التى طلبت من مارى وابين أن تغمس المسلة فى بطنها .

ابيجال (تكشر عن انيابها وتظهر فيها الطفلة الغريرة التى تجاب إلى طلبها ولكنها مازالت فى كامل قواها) انا طلبت من مارى وابين .

بروكتور أنت تعنين جيداً ما تفعلين لاتدعى الجنون :

أبيجال (تنادى أمامها) أوه يامنافقون ؟ هل إستملتموه اليكم : (توجه كلامها له مباشرة) .

جون ، لماذا تركتهم يرسلونك ؟

بروكور أحذرك يا آبى .

أبيجال انهم يرسلونك لقد سرقوا أمانتك .

بروكتور بل وجدت أمانتى .

أبيجال زوجتك التى تستعطف . زوجتك الحقيرة الدنيئة : هذا صوت ربيكا وصوت مارتا كورى ، لم تكن أنت من المنافقين .

بروكتور (يمسك ذراعها) سأثبت لهم مدى سفالتك .

أبيجال وإذا سألوك لماذا تصنع أبيجال كل هذه الأعمال من دون الناس كلهم. فماذا ستقول لهم .

بروكتور (تخرج منه الكلمة بصعوبة لحرجه من ذكرها) سـأخبرهم عن السبب .

أبيجال فماذا ستقول ؟ أتعترف بالزنا فى المحكمة .

بروكتور لو أصررت فسأعترف (تضحك ضحكة غير مصدقة) قلت سأقول الحقيقة (تضحك بصوت مرتفع أكثر فقد تيقنت الآن أنه لن يفعل ولكنه يهزها بعنف) إذا كانت لديك بقية من قدرة على السماع

فاسمعى هذا . هل تسمعين (ترتعد وتنظر اليه كما لو كان قد فقد عقله) ستقولين لهيئة المحكمة إنك لم ترى أية أرواح ، وإنك لم تعودى ترين شيئاً ، عدينى بأنك لن تدعى رؤية السحر مرة أخرى وإلا كشفت للملأ حقيقتك !!

أبيجال (تمسك به) لن أعترف بشىء من ذلك فى الدنيا !! أنا أعلم بك من نفسك يا جون، إنك تتمنى الآن فى قلبك لو أن زوجتك شنقوها

بروكتور (يلقيها أرضاً) لقد جننت أيتها الوضيعة العاثلة .

أبيجال (تنهض) أوه هو قاس عندما ينكشف الخداع ولكنك انكشفت : انكشفت (تلف نفسها ، استعداداً للذهاب) لقد أديت واجبك نحوها أرجو أن يكون هذا آخر نفاقك وأرجو أن يكون قدومك التالى إلى بأخبار سارة . أعرف أنك ستعود وبأخبار حلوة - وقد أديت واجبك نحوها مساء الخير ياجون (تتراجع رافعة يدها كالمودعة) لا تخش شيئاً سأنقذك غدا . سأنقذك من نفسك . (تذهب)

يبقى بروكتور وحيداً مندهشاً فى رعب يأخذ فانوسه ويخرج ببطء بينما ينزل الستار

(انتهى الفصل الثانى)

الفصل الثالث

الرواق الخارجى لبيت الاجتماع فى مدينة سالم وقد حول إلى حجرة استراحة لهيئة المحكمة . بينما يرتفع الستار تبين الحجرة - خالية والشمس تسقط عليها من نافذتين فى أعلى الحائط الخلفى . الحجرة كئيبة ممنوعة على الناس . وعلى اليمين يوجد بابان يؤديان إلى صالة الاجتماعات حيث تعقد المحكمة جلساتها . وعلى اليسار يوجد باب يؤدى إلى الخارج .

ويوجد على اليسار أريكة بسيطة وأخرى على اليمين ، وفى الوسط مائدة اجتماعات طويلة نوعا ما ، وحولها كراسى وكرسى فوتيل ضخم .

نسمع صوت المدعى العام من خلف الحائط الفاصل - المدعى العام هو القاضى هوثورن وهو يسأل ومارثا كورى تجيب .

صوت هوثورن	اسمعى يامارثا كورى . هناك أدلة كافية فى أيدينا تثبت بما لايدع مجالا للشك أنك كنت تحترفين قراءة الحظوظ . فهل تنكرين ذلك .
صوت مارثا كورى	أنا بريئة من تهمة السحر ولا أعرف ماهو السحر . أنا لست ساحرة ياسيدى
صوت هوثورن	وكيف يتسنى لك أن تعرفى أنك لست ساحرة .
صوت مارثا	لو كنت ساحرة لأدركت ذلك عن نفسى .
صوت هوثورن	لماذا تؤذين هؤلاء الأطفال .
صوت مارثا	أنا لا أوذيهم ياسيدى ياسيدى كيف ؟
صوت جايلز	(زائرا) عندى دليل للمحكمة عندى شهود .
	(صوت الأهالى يرتفع)
صوت دانفورث	الزم مقعدك يارجل . .
صوت جايلز	توماس بتنام يريد الاستيلاء على أرضنا . .
صوت دانفورث	ابعد هذا الرجل يامارشال .

صوت جايلز انكم تسمعون أكاذيب . أكاذيب .
(الناس يهللون)

صوت هورتورن اقبض عليه ياصاحب الفخامة .

صوت جايلز عندى شهود . لماذا ترفضون سماع شهودى ؟
(يفتح الباب ويدخل جايلز نصف محمول على كتف هيريك)

جايلز أبعد يديك عنى . . . دعنى . .

هيريك جايلز . جايلز . .

جايلز أبعد عنى ياهيريك معى شهود . .

هيريك لايمكنك الدخول ياجايلز . انها محكمة . .
(يدخل هال من المحكمة)

هال أرجوك اهدأ لحظة . .

جايلز أدخل أنت ياسيد هال . أدخل واطلب منهم أن أتكلم .

هال لحظة ياسيدى لحظة . .

جايلز سيشنقون زوجتى . .

(يدخل القاضى هاثورن . رجل فى الستين من عمره حنكته التجارب وسلبته تأنيب الضمير)

هاثورن من سول لك التهجم على هيئة المحكمة . هل جننت يا كورى ؟

جايلز أنت مازلت قاضى محكمة جزئية ياهاثورن . لم تصبح بعد قاضى محكمة كلية . ثم لا تنادبنى مجنونا مرة اخرى . يدخل نائب المحافظ دانفورث وخلفه حزقيال شيفر وباريس . عند دخوله يعم الصمت . دانفورث رجل فى الستين من عمره رزين يحب المرح . يتقدم نحو جايلز الذى ينتظر غضبه .

دانفورث (ينظر مباشرة إلى جايلز) من هذا الرجل ؟

باريس أنه جايلز كورى ياسيدى إنه رجل . .

جايلز (إلى باريس) لقد سمعت هذا السؤال بنفسي وأنا كبير بما فيه الكفاية واستطع أن أرد بنفسي (إلى دانفورث الذى يخافه جايلز والذى يبتسم إليه فى محنته) اسمى كورى ياسيدى جايلز كورى عندى ستمائة فدان وزوجتى هى التى تحاكمونها الآن (يشير إلى حجرة المحكمة)

دانفورث وكيف تعتقد أنك تساعدها بثورتك التافهة هذه اخرج حالا . لولم تكون عجوزاً لعاقبتك بالسجن على فعلتك .

جايلز (يبدأ فى الاسترحام) إنهم يتقولون أكاذيب على زوجتى ياسيدى أنا.

دانفورث وهل أنت الذى تملى على المحكمة ما يجب ومالا يجب أن تعتقد فيه ؟

جايلز ياصاحب الفخامة أنا لم أقصد أن أحقر ال .

دانفورث تحقر . إنك تخرق القانون ياسيد . هل تعرف أن محكمتنا هى المحكمة العليا للاقليم .

جايلز (يبدأ فى البكاء) ياصاحب الفخامة . كل ما ذكرته أنها تطالع كتباً ياسيدى جاءوا وأخذوها من بيتى الآن

دانفورث (تائها) كتب ! أى كتب . . .

جايلز (من خلال بكائه واسترحامه) إنها زوجتى الثالثة ياسيدى لم أتزوج امرأة تحب الكتب حب هذه المرأة لها . ولقد أدهشنى أمرها فآليت على نفسى أن أعرف السبب ، هل فهمت ولكنى لم أتهمها بمزاولة السحر (يبكى بكاء مراً) لقد نكثت بعهدى لها . . لقد نكثت بعهدالزوجية (يغطى وجهه من العار دانفورث يبقى صامتاً احتراماً لعاطفة الرجل) .

هال ياصاحب الفخامة . . إنه يطالب بسماع شهادته عن زوجته . أظن أنه من العدل أن . .

دانفورث إذن فليتقدم طلبه بالطريقة القانونية . أنت تعرف الاجراءات المتبعة فى هذه الأحوال ياسيدهال . . إلى هيريك) أخل الحجرة . .

هيريك هيا ياجايلز (يدفع كورى برفق إلى الخارج)

فرانسيس نحن يائسون ياسيدى . لقد قدمنا هنا ثلاثة أيام ولم يستمع إلينا أحد .

دانفورث من هذا الرجل ؟
فرانسيس فرانسيس نيرس ياصاحب الفخامة .
هال زوجته هي ربيكا التى أدينت هذا الصباح .
دانفورث حتماً تدهشني ثورتك مع أن التقارير المقدمة عنك تمدح كلها أخلاقك ياسيد نيرس
هاثورن أعتقد أننا يجب أن نقبض عليهما الإثنين بتهمة تحقير المحكمة ياسيدى .
دانفورث « إلى فرانسيس . أكتب طلبك وقدمه وسأنظر فيه
فرانسيس إن دليلنا مادى سنتقدم به إليك ونعرضه على ناظريك فلا تغمضهما عنه . إن الفتيات . الفتيات ياسيدى يكذبن .
دانفورث ما الذى تقول ؟
فرانسيس لدينا الدليل يا سيدى . إنهن كلهن يخدعنك .
(يصدم دانفورث ولكنه يدرسه)
هاثورن هذا تحقير لهيئة المحكمة . تحقير ياسيدى .
دانفورث أسكت أيها القاضي هاثورن . هل تعرف من أنا يامستر نيرس .؟
فرانسيس بالتأكيد يا سيدى وأظن أنه لا بد أنك كنت قاضيا حكيما حتى تتبوأ المكانة التى تبوأتها .
دانفورث وهل تعلم أنى بامضائى أدخلت مايقرب من أربعمائة سجين من ماربلهد حتى بلدة لين ... فى السجن ؟
فرانسيس أنا . .
دانفورث وحكمت على اثنين وسبعين بالاعدام ووقعت على الحكم بامضائى . .
فرانسيس ياصاحب الفخامة أنا لم أقصد أساءتك ولكن من واجبي أن أذكرك أنكم خدعتم . يدخل جايلز كورى من على اليسار . . الجميع يتبعه بنظرهم وهو يدفع أمامه مارى وارين . . . مارى تنظر إلى الأرض. بروكتور يمسك بكوعها كما لو كانت قريبة من الانهيار) .
باريس (يصدم عندما يراها) مارى وارين. (يذهب إليها مباشرة وينحنى ناظرا فى وجهها) ماذا تفعلين هنا ؟

بروكتور (يبعد باريس عنها بدفعة رقيقة ولكنها ثابته) إنها ستحادث نائب الحافظ . .

دانفورث (يصدمه ما يرى فيحادث هيريك) ألم تقل لى ان مارى وارين مريضة وملازمه الفراش .

هيريك كانت كذلك يا صاحب الفخامة . عند ما ذهبت استدعيها إلى المحكمة فى الأسبوع الماضى قالت لى أنها مريضة .

جايلز كانت تناضل كى تحرر روحها، والآن هى هنا لتقرر الحقيقة أمامك..

دانفورث ومن هذا ؟

بروكتور جون بروكتور يا سيدى . اليزابيث بروكتور زوجتى . .

باريس أحذر هذا الرجل يا صاحب الفخامة . إنه الشر مجسما . .

هال (مندفعا بحماس) أظن أنه يجب أن نستمع إلى الفتاة يا سيدى إنها..

دانفورث (بعد أن أصبح مهتما بمارى وارين يرفع يده يسكت هال) أسكت أنت . ماذا عندك لتقوليه يامارى وارين ؟ « ينظر بروكتور إليها ولكنها لا تستطيع الكلام » .

بروكتور إنها لم تر أرواحا فى حياتها يا سيدى . .

دانفورث « مندهشا ومذعورا ينظر إلى مارى » لم ترا رواحا فى حياتها ؟ .

جايلز « بشغف » بالمرة . .

بروكتور « يبحث فى جيبه » ولقد وقعت على اقرار يا سيدى . .

دانفورث « فى الحال » لا. لا. أنا لاأقبل اقرارات . « يفكر فيما قاله ويستدير متجها إلى بروكتور » خبرنى يا سيد بروكتور هل رويت هذه القصة على القرية .

بروكتور لا ...

باريس لقد قدموا ليردوا المحكمة ياسيدى . هذا الرجل .

دانفورث أرجوك ياسيد باريس .. هل تعلم أن مركز الثقل فى هذه المحاكمات هو أن صوت السماء يتكلم من خلال هؤلاء الأطفال .؟

بروكتور أعرف ذلك ياسيدى .

دانفورث (يفكر ثم يحملق فى بروكتور ويستدير ناحية مارى وارين) وأنت يا مارى وارين كيف سولت لك نفسك أن تتهمى الناس بتسليط أرواحهم عليك ؟

مارى كنت أدعى ذلك ياسيدى .

دانفورث لا يمكننى سماعك .

بروكتور إنها تقول إنها كانت تدعى ذلك .

دانفورث آه ؟ والفتيات الأخريات ؟ . سوزان والكوت و ـ والأخريات ؟ هل يدعين أيضاً .

مارى نعم ياسيدى .

دانفورث (مفتوح العينين) صحيح (صمت لقد اتجه جوابها يستدير ليدرس وجه بروكتور) .

باريس (يعرق) ياصاحب الفخامة . لايمكن أن تسمح لأكذوبة حقيرة كهذه أن تنتشر فى المحكمة .

دانفورث بالطبع . ولكنى مذهول لمجيئها إلى هنا بمثل هذه القصة . والآن ياسيد بروكتور وقبل أن أقرر ما إذا كنت سأستمع اليك أم لا أحب أن ألفت نظرك إلى أننا نوقد ناراً ذات لهب هنا وأنها تحرق كل إدعاء وتفضح كل كذاب .

بروكتور أعلم ذلك ياسيدى .

دانفورث دعنى أستمر . أفهم أن اخلاص الزوج قد يدفعه إلى إتيان أعمال مغالى فيها دفاعا عن زوجته ، فهل أنت مقتنع فى نفسك أن ما تقدمه من شهادة هو الحق ؟

بروكتور إنه لكذلك ، وستعرف ذلك أنت نفسك ..

دانفورث وتريد أن تعلن ذلك على ملأ من المحكمة كلها ؟

بروكتور نعم بعد اذنك

دانفورث (تضيق عيناه) خبرنى إذن ماذا تقصد من وراء ذلك ؟

بروكتور « أطلق سراح ـ زوجتى ياسيدى ..

دانفورث وليست لديك النية . فى قلبك أو فى صدرك . أن تقوض دعائم المحكمة . ؟

بروكتور (بدون أى تردد) لا يا سيدى أبدا . .

شيفر (تنحنح) أنا . يا صاحب الفخامة . . .

دانفورث مستر شيفر . .

شيفر أظن أن من واجبى يا سيدى . . (ينظر إلى بروكتور بعطف) أنت لن تنكر ما سأقوله يا جون (إلى دانفورث) عندما ذهبنا لمقبض على زوجته أعلن سخطه على المحكمة ومزق أمر القبض .

باريس لقد انكشف ستره الآن . .

دانفورث هل فعل ذلك يا سيد هال . . .

هال (يأخذ نفسا) نعم يا سيدى . .

بروكتور لقد نسيت نفسى يا سيدى . ما كنت أعرف ماذا فعلته . .

دانفورث (يدرسه) مستر بروكتور .

بروكتور نعم يا سيدى . .

دانفورث (مباشرة فى عينيه) هل رأيت الشيطان فى حياتك ؟

بروكتور لا يا سيدى .

دانفورث وهل أنت مؤمن . .

بروكتور نعم يا سيدى . .

باريس نعم مؤمن لدرجة أنه يأتى الكنيسة مرة كل شهر . .

دانفورث (باستغراب) لا يأتى الكنيسة .

بروكتور أنا . أنا لا أحب المستر باريس . هذا شىء ليس سرا . ولكنى أحب الله بالتأكيد . .

شيفر أنه يحرث الأرض يوم الأحد يا سيدى .

دانفورث يحرث يوم الأحد . .

شيفر (باعتذار) هذا شىء يجب أن أصرح به يا جون . أنا موظف فى المحكمة . ولا أستطيع كتمان ما أعلم .

بروكتور حرثت مرة أو مرتين يوم الأحد . . . عندى ثلاثة أطفال ولم تكن أرضى حتى السنة الماضية تعطى كثيراً

جايلز لو تحريت الحقيقة فستجد مسيحيين آخرين يحرثون أرضهم أيام الآحاد

هال يا صاحب الفخامة أنا لا أتصور أن تحاكم الرجل لكونه لا يذهب إلى الكنيسة أو لأنه يعمل يوم الأحد . . .

دانفورث وهل أنا أحاكم أحداً الآن . . (صمت يظل مراقبا بروكتور الذى يحاول أن يبادله النظرة) أنا أقولها لك مباشرة يا سيد . . لقد رأيت أشياء عجيبة فى هذه المحكمة . . رأيت أناسا يتكلمون ثم يريم عليهم صمت كصمت القبور بفعل الأرواح رأيتهم مصابين بالابر ومطعونين بالخناجر ولم أعتقد حتى هذه اللحظة أن هؤلاء الأطفال يخدعوننى بأية صورة من الصور . فهل تفهم ما أرمى إليه ؟

بروكتور يا صاحب الفخامة : وأنت أيضاً ألم يخطر ببالك أن هؤلاء النسوة وقد عشن كل هذه السنين حياة طيبة صالحة لا يمكن أن . . . .

باريس هل تقرأ الانجيل يا سيد بروكتور .

بروكتور نعم أقرا الانجيل .

باريس لا أظن وإلا لعرفت أن قابيل عاش أيضاً حياة صالحة ومع ذلك قتل أخاه هابيل .

بروكتور نعم هذا ما يقصه علينا الله . (إلى دانفورث) ولكن من يقص علينا أن ربيكا نيرس قتلت سبعة أطفال بأن سلطت عليهم روحها ؟ إنهم أطفال - أطفال يتقولون على نسائنا ويكذبون ، وهذه واحدة منهم ستقسم أمامك إنها كذبت عليك وأدعت بما قالت أول الأمر .

دانفورث (يفكر ثم يستدعى هاثورن إليه . . يميل عليه هاثورن ويهمس فى أذنه . . يومىء هاثورن) .

هاثورن نعم . إنها هى .

دانفورث يا سيد بروكتور . لقد بعثت إلى زوجتك هذا الصباح تخبرنى أنها حامل

بروكتور زوجتى حامل ؟

دانفورث ومع ذلك فقد وقعنا الكشف الطبي عليها . ولم نجد بها شيئاً .

بروكتور ولكنها لو كانت ترى أنها حامل فلا بد أن تكون حاملا فعلا : إنها لا تكذب أبداً يا مستر دانفورث .

دانفورث صحيح ؟

بروكتور أبدا يا سيدى أبداً .

دانفورث لقد فكرنا أن نتأكد أولا وعلى أى حال فقد قررنا أن ندعها تعيش شهراً آخر فإذا تأكد لدينا أنها حامل فعلا تركناها سنة أخرى حتى تضع حملها . فماذا تقول فى ذلك (يبهت جون بروكتور) هيا تكلم — لقد كنت تدعى أنك ما جئت إلا لكى تنقذ حياة امرأتك — جميل . وها قد عرفت أنها ستعيش سنة أخرى على الأقل — والسنة كما تعلم طويلة . فماذا تقول يا سيدى : اعتقد أن كل شيء قد انتهى الآن . (بروكتور ينظر فى خداع إلى جايلز وفرانسيس) وارى أن تنصرف وألا تقول شيئاً آخر .

بروكتور لا — لا أظن أن باستطاعتى أن أنصرف ياسيدى .

دانفورث (يقسو صوته) إذن فأنت تهدف إلى شيء أكبر من مجرد إنقاذ زوجتك .

باريس إنه يريد تقويض المحاكمة يا صاحب الفخامة ؟

بروكتور هؤلاء أصدقائى وزوجاتهم هن الأخريات متهمات .

دانفورث (فى تغير مفاجىء) وأنا لا أدينهم أو أدينك ومستعد لسماع شهادتك

بروكتور ما حضرت لاهين المحكمة أو أقوضها . لقد أردت فقط .

دانفورث « يقاطعه » اذهب يا مارشال إلى قاعة المحكمة واطلب من القاضى سلوتون والقاضى سيوال أن يرفعا الجلسة للاستراحة وليذهبا إلى المشرب لو أحبا . واحبس المسجونات والشهود فى المبنى فلا يبارحونه .

هيربك نعم ياسيدى. (لايهمه جدوى مايقول) لوكان لى أن أتكلم ياسيدى فانى أحب أن اقول انى عرفت هذا الرجل طيلة حياتى وهو رجل طيب ياسيدى .

دانفورث « يظهر أثر هذا الكلام عليه ، هذا أغلب ظنى يامارشال . . يومىء هبريك برأسه ويذهب » والآن ماذا تريد أن تقدم لنا ياسيد بروكتور . أرجوك أن تكون واضحا وضوح السماء الصافية وأمينا .

بروكتور « بينما يخرج بعض الأوراق » أنا لست محاميا ولذلك سـ . . .

دانفورث إن المخلصين لا يحتاجون إلى محامين . تكلم بأية لغة .

بروكتور « يناول دانفورث ورقة » هل قرأت أولا هذه ياسيدى إنها ملتمس يقر فيه الناس الذين أمضوه بحسن سلوك ربيكا وزوجتى ومارثا كورى ويطلبون فيه براءتهم « ينظر دانفورث إلى الورقة »

باريس « متهكما » حسن سلوكهن ؟ ولكن دانفورث يستمر فى القراءة فيخيب أمل بروكتور « يشير إلى قائمة الإمضاءات » كلهم ملاك ومزارعون ومؤمنون « يحاول برقة أن يلفت نظره إلى فقرة من الفقرات .

إذا سمح سيدى وقرأ هـــذه الفقرة — لقد عاشرناهن سنوات طويلة ولم نلمس عليهن ما يؤكد وجود علاقة بينهن وبين الشيطان .

« يتحرك باريس بعصبية ويقرأ العريضة المقدمة من فوق كتف دانفورث »

دانفورث « يلقى نظرة خاطفة على قائمة الأسماء كلها » كم اسماً هنا ؟

فرانسيس واحد وتسعون يا صاحب الفخامة .

باريس « يعرق » يجب أن تستدعى هؤلاء الناس . « دانفورث ينظر إليه مستوضحاً » لنستجوبهم :

فرانسيس « يرتعد غضباً » مستر دانفورث ، لقد أعطيتهم كلمتى ألا يحدث لهم أى مكروه من جراء إمضائهم

باريس هذا تهجم فاضح على هيئة المحكمة

هال « إلى باريس محاولا كبح جماح نفسه » هل تعتبر كل دفاع تهجما على على هيئة المحكمة . ألا يستطيع إنسان ؟

باريس إن كل من يعرف نفسه بريئاً ويملأ قلبه الإيمان بالله لسعيد بوجود هذه المحكمة فى سالم . أما هؤلاء الناس فشأنهم شأن آخر لأنهم خائفون لافتضاح أمرهم

« إلى دانفورث مباشرة » أعتقد يا سيدى أنه يجب أن تعرف من كل واحد منهم ما الذى لا يعجبه فى قيام المحكمة وفيك أنت نفسك

هاثورن نعم يجب أن نستجوبهم ياسيدى .

دانفورث هذه العريضة لا يلزم أن تكون هجوما . ومع ذلك

فرانسيس كل الذين وقعوا هنا مسيحيون مؤمنون ياسيدى .

دانفورث واذن فليس لديهم ما يخشونه لو استجوبناهم . (يسلم شيفر الورقة) مستر شيفر حرر أوامر استدعاء لكل هؤلاء ومن لايحضر اقبض عليه «إلى بروكتور » والان ياسيد هل لديك معلومات اخرى نريد أن تنقلها لنا؟«مازال فرانسيس يقف مبهوتا» يمكنك أن تجلس ياسيد نيرس

فرانسيس لقد جلبت المصائب على هؤلاء الناس . جلبت...

دانفورث وكيف تكون قد آذيتهم لو انهم اناس لاغبار على سلوكهم ؟ أنا أريد منك أن تدرك جيد يامستر نيرس انه اما أن تكون مع المحكمة او ضدها . اما ان تكون لا مع هؤلاء ولا اولئك ، فهذا مالا اتصوره . اننا نعيش أوقاتا عصبية .

اوقاتا سادها الظلام لفترة، وعما قريب يعم الضياء ولن يخشى اشراقه الشمس الا الاشرار . وارجو الا تكون منهم «تبكي مارى وارن» انها رقيقة الاعصاب لاتتحمل الصدمات كما ترى .

بروكتور نعم يا سيدى «ينحنى فوقها ويمسك يدها بهدوء قائلا » تذكرى ماقاله الله لعباده الطيبين .

مارى « بصوت خفيض » نعم .

بروكتور افعلوا الطيبات ولن يصيبكم إلا ما كتب الله لكم .

مارى نعم .

دانفورث تعال يا رجل . نحن فى انتظارك .

« يعود مارشال هيريك ويقف عند الباب » .

جايلز جون . أين اقرارى . أعطه له .

بروكتور نعم . « يناول دانفورت ورقة أخرى » . هذه عريضة مستر كورى.

دانفورت أوه ؟ « ينظر فيها بينما يقف هاثورن خلفه يقرأ معه »

هاثورن « بشك » ما اسم المحامى الذى كتبها ؟

جايلز أنت تعلم يا هارثون أنى لم أوكل محاميا فى حياتى

دانفورت « ينتهى من القراءة » مكتوبة كتابة جميلة . تهانئى . مستر باريس أرجوك أن تستدعى مستر بتنام من قاعة الجلسة لو وجدته هناك . «يتناول هاثورن العريضة ويذهب بها إلى النافذة باريس يدخل الجلسة» أدرست القانون يا سيد كورى .

جايلز بل مارسته يا سيدى « جذلا » لقد دخلت المحاكم ثلاثا وثلاثين مرة فى حياتى : وكنت دائما مدعيا :

دانفورت إذن فأنت المغبون دائما :

جايلز بالعكس أنا لم يغبنى أحد أبدا . مادمت أعرف حقوقى وأحاول تحصيلها فحما لا بد أن يأتى اليوم الذى أنال فيه ما اغتصبه الغير منى فى إحدى المرات كان والدك قاضيا عندما نظر إحدى قضاياى . ربما كان ذلك منذ خمسة وثلاثين عاما مضت.

دانفورت حقا :

جايلز ألم يحدثك عن هذه القضية ؟

دانفورت لا أذكر أنه فعل .

جايلز غريبة . مع أنه حكم لى بتسعة جنيهات تعويضا . كان قاضيا عادلا وما يحكم فى قضية إلا ويحكم فيها بالعدل ـ كنت أيامها أمتلك مهرا أبيض ـ (يدخل باريس ومعه توماس بتنام عندما يرى جايلز تتقبض قبضته وتقسو ملامحه) نعم ها هو .

دانفورت مستر بتنام ، لدى هنا اتهام من المستر كورى لك . إنه يقرر أنك حرضت ابنتك على اتهام جورج جاكوبز بمزاولة السحر مما أدى إلى القبض عليه والزج به فى السجن .

بتنام هذا كذب .

دانفورت (يستدير إلى جايلز) قرر مستر بتنام أن اتهامك كذب فما قولك ؟

جايلز « غاضبا ويداه متقبضتان » بل هو الكذاب .

دانفورث وما دليلك ضده ياسيدى ؟

جايلز دليلى هنا « يشير إلى الورقة » لو أن جاكوبز شنق لحجز بتنام على أملاكه هذا هو القانون ولا أحد يملك مالا يمكنه من شراء أرض واسعة كأرض جاكوبز إلا بتنام ، هذا الرجل يقتل جيرانه ليستولى على أملاكهم .

دانفورث أنا أطالبك بالدليل ياسيدى . الدليل .

جايلز « مشيراً إلى عريضته » الدليل مذكور عندك . لقد اعترف لى أحدهم بذلك بعد أن سمع بتنام يذكره لقد قال يوم أن اتهمت ابنته جاكوبز إنها قد أعطته أرضه منحة .

هاثورن وما اسم هذا الرجل ؟

جايلز « مأخوذاً » أى رجل ؟!

هاثورن الرجل الذى أبلغك ماقاله بتنام ؟

جايلز (يتردد ثم يقول) : مستحيل أن أعطيك اسمه .

هاثورن ولم . لا ؟

جايلز (يتردد ثم ينفجر) أنت تعرف لماذا . لأنك ستسجنه لو أنى أعطيتك الاسم .

هاثورن هذا تحقير للمحكمة يامستر دانفورث .

دانفورث (لكى يتجنب هذا) يجب أن تعطينا الاسم .

جايلز لن أعطيك أى اسم لقد ذكرت اسم زوجتى مرة وسيدخلنى الله النار بسبب فعلتى تلك . أما الآن فأنا أخرس لا أتكلم .

دانفورث وفى هذه الحالة لا خيار لى إذا قبضت عليك بتهمة تحقير المحكمة . فهل تدرى ذلك .

جايلز ولكن المحكمة ليست منعقدة الآن ولا تملك أن تحاسبنى على تحقير محكمة حيث لا توجد محكمة .

دانفورث مرحى إنك محام ممتاز : هل تريد أن أعقد المحكمة بكامل هيئتها الآن هنا ؟ أم تفضل أن تحسن الإجابة على سؤالى ؟

جايلز « بتردد » يستحيل أن أعطيك اسمه . ياسيدى مستحيل .

دانفورث أنت رجل عجوز مخرف . مستر شيمر تول كتابه المحضر . المحكمة الآن منعقدة وأنا أسألك يامستر كورى .

بروكتور « مقاطعاً » يا فخامة الرئيس . لقد وثق فيه الآخر فأتمنه على سره يا سيدى .

باريس وأى خير فى هذه الثقة . « إلى دانفورث » بدون ثقة لن تكون هناك مؤامرة فالسرية عنصر هام من عناصر الجريمة ياصاحب الفخامة .

هاثورن يجب أن نبلغ عن هذا الرجل .

دانفورث أيها الرجل العجوز . لو كان من بلغك يقول الحقيقة فليتقدم بما قاله هنا كالناس المحترمين . ولكنه لو كان لايجرؤ على اتهام بتنام فالسبب واضح لأنه كذاب . والآن بوصفى ممثلا للحكومة وبحضور ممثل الكنيسة أطالبك . بل نطالبك نحن الاثنين بالإفصاح عن الرجل الذى اتهم مستر بتنام بجريمة القتل غير المباشر .

هال ياصاحب الفخامة .

دانفورث مستر هال .

هال كفى ضغطاً على الناس . لقد صار الأهالى يخافون المحكمة خوفاً مروعاً .

دانفورث ذلك لأنهم قد ارتكبوا آثاماً مروعة . هل تخاف أنت مثلا أن تستجوب هنا .

هال أنا لا أخاف إلا الله ياسيدى إن القانون الذى يحكم هنا هو قانون الخوف .

دانفورث «غاضباً» وهل أنا المسئول عن وجود هذا الخوف ؟ الخوف موجود ومنتشر لوجود مؤامرة على الدين .

هال ولكن ذلك لايعنى أن كل منهم شريك فى المؤامرة .

دانفورث لن يخاف برىء من المحكمة . لايمكن أن يخافها برىء واحد ! واحد ياسيد

هال : « إلى جايلز » أنت مقبوض عليك بتهمة تحقير المحكمة . اجلس الآن وشاور نفسك وإلا تحفظت عليك فى السجن حتى تبوح بما نطلبه منك .

« يندفع جايلز كورى نحو بتنام . يتوسطهما بروكتور ويمسكه »

بروكتور لا ياجايلز .

جايلز « من فوق كتف بروكتور يقول لبتنــام » سأقتلك يا بتنام . سأذبحك ذبحاً .

بروكتور « يلقيه على أحد الكراسى » اهدأ ياجايلز اهدأ . « يتركه » سنثبت ماقدمنا لأجله . « يستدير إلى هاثورن »

جايلز لا تقل شيئاً اكثر من ذلك ياجون . « يشير إلى دانفورث » يلعب علينا . يلهو بنا وبينه وبين نفسه يضمر شنقنا جميعاً ؟
« تبكى مارى وارين »

دانفورث هذه محكمة قانونية ياسيد : لن أسمح لك . باهانتنا هنا :

بروكتور سامحه يا سيدى لكبر سنه اهدأ ياجايلز . سنثبت لهم كل شىء الآن . « يرفع دقن مارى » لا تبكى ياماري . تذكرى الله وتذكرى قوله :. اعتصمى بحبله فهو المنجى ونعم النصير « تهدأ مارى يأخذ ورقة من جيبه ويستدير إلى دانفورث هذا اقرار من مارى وارين وأرجو أن تتذكر ياسيدى وأنت تقرأه أنها كانت منذ أسبوعين اثنين فقط كأية واحدة من هؤلاء الأطفال .

« يتكلم بعقل بلا خوف أو غضب أو تردد » لقد شاهدتها تصرخ وتعوى وتقول مع القائلات أن الأرواح تلبسها وتقسم أنهم يخنقونها وشهدت علاوة على ذلك أن إبليس نفسه فى هيئه بعض النسوة السجينات الآن حاول أن يسلبها روحها ولكنها رفضت وعندئذ .

دانفورث نحن نعلم كل ذلك

بروكتور نعم نعم ياسيدى . وهى تقسم الآن أنها لم تر إبليس أبدا . ولا أى

روح أخرى لامس بعيد ولا من قريب . وتعلن على الملأ أن صديقاتها يكذبن الآن .

« يذهب بروكتور ليسلم دانفورث الإقرار ويتقدم هال إلى دانفورث مقلوب السحنة »

هال	لحظة واحدة ياصاحب الفخامة . أظن أن اقرارها هذا ينهى الموضوع.

دانفورث	« بخيبة أمل » هذا بديهى ،

هال	لا يمكن أن أؤكد أنه صادق فيما يقول أو أنه أمين.. ذلك لأن معرفتى به بسيطة ولكن كل العدالات لا تنكر مطلباً كهذا الذى يتقدم به فلاح ، فباسم الله يا سيدى استحلفك أن تقف عند هذا الحد . دع الرجل يذهب إلى بيته ويعود ومعه محام .

دانفورث	«بصبر» اسمع ياسيد هال .

هال	ياصاحب الفخامة لقد وقعت على اثنين وسبعين حكما ، لاعدام وأنا أحمل كلام الله ولكنى الآن لن أوقع على مزيد منها مالم يكن هناك دليل دامغ لايقبل الشك إطلاقا .

دانفورث	أتشك فى عدالتى ياسيد هال .

هال	لقد وقعت هذا الصباح حكم إعدام ريبكا نيرس . إنها ياسيدى مازالت ترتعش كما لو كان بها جرح.. أرجوك أن تتيح الفرصة لهؤلاء الناس أن يوكلوا عنهم محامين يحسنون الدفاع عن قضيتهم .

دانفورث	مستر هال . أنا مندهش من أن رجلا فى مثل علمك ومكانتك ينطق بما تنطق ـ أعذرنى لو قلت لك ذلك . ولكنى ياسيدى اشتغلت بالقانون اثنتين وثلاثين سنة وأعلم أنه لا يمكن لمحام أن يقبل الدفاع عن أمثال هؤلاء الناس . « موجهاً الكلام إلى بروكتور والآخرين » فلتضعوا هذا فى أذهانكم . كيف يدافع القانون عن المتهم فى الجريمة العادية ؟ للمتهم الحق فى استدعاء من يشاء من الشهود لاثبات براءته . ولكن ممارسة السحر والشعوذة حقيقة واقعة لاتحتاج إلى شهود لانكارها هذا من ناحيتها المظهرية اما من واقع طبيعتها فهى جريمة تتوافر فيها كل عناصرها أليس كذلك ؟ فما هى عناصرها إذن . الجانى والضحية ،

ولا أحد غيرهما . ونحن لا يمكن أن نأمل أن تتهم الساحرة نفسها ؟ مضبوط؟ لذلك فنحن نعتمد على ضحيتها ـ ضحية الجانى ـ وهؤلاء الأطفال هن الضحايا وهن يقررن ويشهدن عليهن. على الساحرات اللاتى نأمل من قلوبنا أن يعترفن فما الذى يمكن أن يفعله محام هنا ؟ أرجو أن تكون وجهة نظرى قد وضحت .

هال ولكن هذه البنية تعترف بأن زميلاتها كاذبات مدعيات وإذا كن غير ذلك .

دانفورث وهذا بالضبط ما سأحقق فيه يا سيدى . فماذا تريد منى أن أفعل غير ذلك إلا إذا كنت تشك فى حيادى .

هال (منهزما) حاشاى أن أفعل يا سيدى فلتحقق فى الأمر إذن .

دانفورث ولتهدأ يا مستر هال وليهدأ بالك . إلى بالاقرار يا مستر بروكتور .

(بروكتور يناوله الاقرار . ينهض هاثورن ويذهب إلى جوار دانفورث ويبدأ فى القراءة باريس يقف إلى جانبه الآخر . ينظر د نفورث إلى جون بروكتور ثم يستمر فى القراءة ينهض هال ويجد له مكانا إلى جوار القاضى ويقرأ هو الآخر . ينظر بروكتور إلى جايلز يصلى فرانسيس فى صمت ويداه متشابكتان شيفر ينتظر فى هدوء والاحساس بالواجب كموظف يملؤه . تسمع مهمهة مارى وارين ثم يلمس جون بروكتور رأسها مسريا عنها يرفع دانفورث رأسه ويقف ثم يضع منديله على أنفه يفسح له الآخرون الطريق بينما يذهب مفكراً إلى النافذة) .

باريس « لا يتمالك نفسه من الغضب والخوف » أحب أن أستجوب . . . . .

دانفورث « لأول مرة ينفجر فى باريس مظهراً له عدم احترامه » مستر باريس اسكت : « يقف صامتاً ينظر من النافذة ثم يتحول إليهم قائلا » : مستر شيفر لك أن تذهب إلى القاعة وتحضر الأطفال هنا ؟ « ينهض شيفر ويخرج . يستدير دانفورث نحو مارى » كيف انقلبت هكذا يامارى : هل هددك السيد بروكتور وأملى عليك الإقرار ؟

ماری لا سیدی .

دانفورث ألم يهددك ؟

ماری « بضعف » لا يا سيدى .

دانفورث « يحس بضعفها » ألم يهددك ؟

ماری لا يا سيدى .

دنفورث إذن فقد كنت تكذبين عندما كنت تلقين التهم . وكنت تعلمين أن تهمك سيتسبب عنها إعدام بعض الناس !

« لا تجيب » أجيبي

ماری « فى صوت لا يكاد يسمع » نعم يا سيدى كنت أكذب .

دانفورث كيف تعلمت فى حياتك ؟ ألا تعلمين أن الله لا يحب الكذابين ! ؟

« لا تسطيع الكلام » أوأنك الآن تكذبين ؟

ماری لا يا سيدى فأنا الآن لا أحنث .

دانفورث أنت لا تحنثين الآن ؟

ماری نعم يا سيدى .

دانفورث « منهالكا نفسه » أنا ألفت نظرك إلى أنك كنت تكذبين فى المحكمة أو أنك تكذبين الآن وفى كلا الحالتين ارتكبت جنحة ستحاسبين عليها وتسجنين . فلا تستخفى باتهام نفسك بالكذب يا ماری . هيه ؟

ماری لم أعد أطيق الكذب يا سيدى . لقد اخترت جانب الله . اخترت جانب الله .

« تبكى ويفتح الباب وتدخل سوزانا والكوت ومرسى لويس وبيتى باريس وأخيراً اميجال يتقدم شيفر إلى دانفورث) .

شيفر لم تحضر روث بتنام يا سيدى وأخريات .

دانفورث هؤلاء يكفين اجلسن « يجلسن فى صمت » لقد سلمتنا زميلتكن ماری

وارين إقرارا تقرر فيه وتقسم على ما تقول : إنها لم يحدث أن رأت أشباحا قط وتعترف أيضاً أنكن لم ترين شيئاً من هذا بالمثل « صمت بسيط » والآن يا أطفال هذه محكمة قانونية قانونها مستمد من الإنجيل والإنجيل من عند الله القدير ، والله ينهى عن ممارسة السحر ويأمر بإعدام مرتكبيه والإنجيل والقانون كذلك يا أطفال لا يقر الكاذبين وشاهدى الزور ويعاقبهم « فترة صمت قصيرة » إننى لم يفتنى أن أفكر أنه ربما كان هذا الإقرار مكتوبا ليضللنا ويعمينا . ربما غلب مارى وارين شيطانها ولكنها ربما تكون صادقة فيما تقرر في هذه الحالة أرجوكن أن تنزعن نقاب الادعاء وتعترفن حتى أخفف عقوبتكن . « صمت » انهضى يا ابيجال وليامز . « تنهض ابيجال ببطء » هل هى صادقة ؟

ابيجال لا يا سيدى .

دانفورث « يفكر وينظر إلى مارى ثم إلى ابيجال » إننى فى حيرة بينكما فقولا الصراحة وأصدقانى وإلا أضطررتمانى إلى استجوابكما استجوابا قاسياً لا رحمة فيه . أيكما تغير موقفها ؟ .

ابيجال وكيف أغير من موقفى وهى تكذب يا سيدى .

دانفورث « إلى مارى » هل أنت مصممة على ماأنت عليه ؟ .

مارى « بضعف » نعم يا سيدى .

دانفورث « يستدير إلى ابيجال » لقد عثرنا على دمية فى منزل السيد بروكتور - دمية رشق بداخلها مسلة وتدعى مارى أنك كنت إلى جوارها فى قاعة المحكمة عندما كانت تخيطها وأنك شاهدتها وهى تخلقها ورأيتها وهى تضع المسلة بداخلها خوفا على المسلة من الضياع . فماذا تقولين فى ذلك ؟

ابيجال « وقد خدشت كرامتها » إنها كذابة يا سيدى .

دانفورث « بعد فترة صمت بسيطة » عندما كنت تعملين فى بيت السيد بروكتور هل كنت ترين دمى فى هذا البيت ؟

ابيجال كانت جودى بروكتور تحتفظ دائما بدمى فى بيتها .

بروكتور ياصاحب الفخامة . إن زوجتى لم تقتن دمى أبداً . وهـــذه مارى تعترف بأن الدمية دميتها .

شيفر ياصاحب الفخامة .

دانفورث مستر شيفر .

شيفر عندما تحدثت مع جودى بروكتور فى بيتها ذكرت لى بأنها لا دمى لديها ولكنها أقرت بأنها كانت تقتنى دمى عندما كانت فتاة .

بروكتور وأصبحت زوجتى من خمس عشرة سنة . .

هاثورن ولكن الدمية قد تظل سليمة لمدة خمس عشرة سنة : هيه ؟

بروكتور نعم نعم قد تظل سليمة لو أن أحدا اقتناها وعنى بها ولكن مارى وارين هنا تقسم أنها لم تر دمى فى بيتى ولم ير أى مخلوق غيرها دمى فى بيتى .

باريس ولماذا لا تكون هناك دمى مخبأة فى أمكنة لا يراها أحد ؟

بروكتور « مغضبا » وربما كان هناك وحش بخمس أرجل كذلك فى بيتى ولم يره أحد .

باريس نحن هنا ياصاحب الفخامة لنكشف بالضبط مالم يره أحد من قبل .

بروكتور ياسيد دانفورث — ما الذى تفيده هذه الفتاة من اعترافها على زميلاتها ؟

ما الذى سيعود على مارى غير الاستجواب القاسى وما هو أقسى من الاستجواب ؟ !

دانفورث إنك تتهم أبيجال وليامز بتدبير خطة محكمة لارتكاب مجموعة من جرائم القتل — هل ادركت ذلك ؟

بروكتور نعم نعم اعتقد اعتقادا جازما أنها تدبر قتلنا .

دانفورث « مشيراً إلى أبيجال غير مصدق » هذه الفتاة تريد قتل زوجتك ؟

بروكتور أنها ليست طفلة . أرجوك أن تعى ما أقوله لك ياسيدى لقد طردت مرتين خلال الصلاة الجماعية فى الكنيسة لأنها كانت تضحك

دانفورث « مستديرا إلى أبيجال » ماهذا ؟ تضحكين أثناء .. ؟

باريس ياصاحب الفخامة لقد كانت وقتها واقعه تحت تأثير تيتوبا ولكنها الآن شفيت .

جايلز نعم شفيت الآن لدرجة أنها تدبر شنق الناس .

دانفورث اصمت يارجل .

هاثورن وما دخل الضحك فى الصلاة واتهامه لهـــا بالقتل . المهم هى تهمة تدبير القتل .

دانفورث نعم « يدرس ابيجال لحظة ثم » استمر ياسيد بروكتور .

بروكتور ماري . ارجوك قصى على المحافظ كيف كنتن ترقصن فى الغابة .

باريس « فى الحال » ياصاحب الفخامة . هذا الرجل يلطخ اسمى بالعار منذ مجيئى إلى ساليم . انه ..

دانفورث لحظة ياسيدى « إلى ماري بحزم مندهشا » ماهذا الرقص فى الغابة؟!

ماري أنا .. « تنظر إلى أبيجال التى تحملق فيها » ثم ترجو بروكتور » مستر بروكتور

بروكتور « فى الحال » لقد ضبطهن مستر باريس بنفسه فى حلكة الليل : وهذه هى الطفلة التى تتحدثون عنها . هذه هى حقيقتها .

دانفورث « يزداد تقززه فيستدير إلى باريس مندهشا » مستر باريس

باريس أؤكد لك ياسيدى أنى لم أعثر على أية مهنة عادية وإن هذا الرجل.

دانفورث ولكنك عثرت عليهن فى الغابة يرقصن؟« العيون على باريس . يشير إلى ابيجال » ابيجال

هال ياصاحب الفخامة . عندما وصلت من بيفرلى أخبرنى المستر باريس عن ذلك

دانفورث هل تنكر ماقلت يامستر باريس .

باريس أنا لا أنكر أنى قلت له قصة الرقص ولكنى لم أشاهد أيا منهن عارية .

دانفورث ولكنها رقصت .

باريس (كارها) نعم يا سيدى .

دانفورث « ينظر إلى ابيجال نظرة جديدة » .

هاثورن هل تسمح لى يا صاحب الفخامة بتوجيه بعض الأسئلة إليها (يشير إلى ماري) .

دانفورث « بقلق » تفضل .

هاثورن تقولين انك لم ترى أية أرواح أو أشباح يا مارى .

مارى « بضعف شديد » لم أر شيئاً يا سيدى .

هاثورن « برنة نصر » ومع ذلك عندما واجهك الناس فى المحكمة ذكرت أن أرواحهم كانت تتسلط عليك . . .

مارى كنت أكذب يا سيدى .

دانفورث ارفعى صوتك من فضلك

مارى كنت أكذب يا سيدى

باريس ولكنك كنت تتشنجين وأنا نفسى كنت أسندك وكنت باردة كالثلج . انك يا مستر دانفورث . .

دانفورث وأنا أيضا لمست هذه الحكاية فيك .

بروكتور كانت تمثل الاغماء يا صاحب الفخامة. إنهن ممثلات يتقن هذا الدور

هاثورن اذن أيمكنها أن تمثل هذا الدور الآن .

بروكتور الآن ؟

باريس لم لا ؟ إنها تدعى أنها كانت تمثل دور الاغماء فلتمثله الآن .. تستطيع أن تمثل لنا كيف كانت تدعى أن أحدا يهاجمها . « يستدير إليها » مثلى الاغماء .

هاثورن نعم مثلى الاغماء . اثبتى لنا كيف كنت تمثلين هذا الدور عدة مرات.

مارى « تنظر إلى بروكتور » لا — لا أستطيع تمثيل الاغماء الآن ياسيدى

بروكتور « مفزوعا يقول بهدوء » ألا يمكنك تمثيل هذا الدور يا مارى ؟

مارى « تنظر حواليها كما لو كانت تبحث عن مبرر للاغماء » ليس لدى الدافع الآن : أنا . . .

دانفورث لماذا ؟ ما الذى ينقصك الآن ؟

مارى لست أدرى يا سيدى : انا ...

دانفورث ربما كان السبب اننا هنا لاروح شريرة بيننا تتسلط عليك داخل

قاعة المحكمة . هل كانت توجد بعض هذه الأرواح فى غير المحكمة ؟

ماری أنا لم أر فى حياتى أية روح .

باريس صدقنا انك لم ترى أرواحا فى حياتك فهل فى استطاعتك أن يغمى عليك بارا تك كما تدعين ؟

ماری « تحملق وتحاول بعث جو الاغماء ولكنها تهز رأسها » لا أستطيع أن أمثل الدور .

باريس إذن اعترفى ـ أن الأرواح الشريرة هى التى كانت تتملك وتبعث فيك الاغماء .

ماری لا ياسيدى أنا . . .

باريس إنها حيلة يا صاحب الفخامة لتضليل المحكمة .

ماری ليست حيلة : « تقف » لقد اعتدت أن يغمى على لأنى . . لأنى كنت أظن انى أرى أشباحا .

دانفورث كنت تظنين ! ! !

ماری لست أدرى كيف كان ذلك ـ ولكن هذا هو ما كان يحدث . . كنت أسمع الفتيات الأخريات يصرخن . وأنت نفسك — ياصاحب الفخامة ـ كنت تبدو كما لو كنت تصدقهن . وأنا — كنا نمثل عليكم فى أول الأمر — نوعا من اللهو ياسيدى ـ ولكن العدوى انتشرت وسرت بينكم فأخذ كل واحد يصيح « أشباح أشباح » فخيل إلى أن الأمر حقيقة !! صدقنى ياسيدى !! وخيل إلى انى أرى أشباحا فعلا ولكنى لم أر شيئا بالمرة . .

« يحملق دانفورث فيها » .

باريس « مبتسما ولكن تبدو عليه أمارات القلق نظراً لما يبدو على دانفورث من ميل نحو تصديق مارى » أرجو ألا تكون فخامتك قد صدقت هذه القصة الساذجة .

دانفورث « يستدير قلقا نحو ابيجال » ابيجال . . . أرجوك أن تنفذى إلى داخل قلبك وتصدقينى . وتأكدى يابنيتى أن الله يقدر الروح الإنسانية

حق قدرها وأنه شديد العقاب لمن يزهق نفسازكية بلاذنب جنته .
ربما كانت الأشباح يابنيتي مجرد وهم، طيفا عابرا ألم يخطر ببالك .

ابيجال سيدى لا أسمح لك أن تهينني . .

دانفورث أرجوك يابنيتي تعقلى وزنى الأمور . .

ابيجال لقد آذونى ياسيد دانفورث وكان دمى يجرى أمام عينى . . لقد دبروا أمر قتلى يوميا لالسبب سوى انى كنت أكشف عملاء الشيطان وافضح سترهم ـ وهذا ماتكافئوننى به ؟ تخوننى وتنكرون ماسردته عليكم وتتشككون فيه وتستجوبوننى كما لو كنت . .

دانفورث « بضعف »
إنى لا أخونك يابنتى .

ابيجال « فى تهديد سافر » .
فلتأخذ حذرك إذن ياسيد دانفورث . أتظن نفسك فى مأمن من احابيل الأشباح ؟ احذر ألاعيبهم فهناك ـ « فجأة تدير وجهها شطر الفضاء فوقها ـ مفزوعة خائفة »

دانفورث ماذا ألم بك يابنتى . . ؟

ابيجال « تبحث فى الهواء ضامة ذراعيها إلى بعضهما كما لو كانت تحس بالبرد الشديد » .
لا . . أدرى . الريح . . الريح الباردة .
« تسقط عيناها على مارى وارين » .

مارى « مذعورة » آبى . .

مرسى إنى أتجمد ياصاحب الفخامة ! !

بروكتور انهن يمثلن . .

هاثورن « يلمس يد ابيجال » إنها باردة ياصاحب الفخامة . المسها بنفسك . .

مرسى « أسنانها تصطك » مارى . امنعى روحك عنى .

مارى ليرحمنى الله . .

سوزانا إنى أتجمد . . أتجمد . .

ابيجال الريح . الريح . .

ماري آبي كني هذرا ...

دانفورث «غاضبا» ماري وارين. هل تكيدين لها؟ ابطلي عملك في الحال

«ماري تصرخ صرخة هستيرية. وتبدأ في العدو - بروكتور يمسكها».

ماري «منهارة» دعني يا مستر بروكتور. لا أستطيع. لا أستطيع..

أبيجال «متضرعة إلى السماء» أبانا الذي في السماء أبعد عني هذه الروح.

«دون إنذار أو تردد يقفز بروكتور إلى أبيجال ويمسكها من شعرها وينهضها على أقدامها. تصرخ من الألم. يصيح دانفورث مندهشا» «ماذا تفعل؟» ويصيح دانفورث وباريس. أبعد يديك عنها. ويطغى صوت بروكتور كالزئير عليهما.

بروكتور وكيف تدعين أباك الذي في السموات يا عاهرة. يا عاهرة.

«هيريك يفصل بين بروكتور وبينها».

هيريك جون.

دانفورث أيها الرجل ماذا تقول.

بروكتور «لاهثا في ألم» إنها عاهرة.

دانفورث «مبهوتا» تتهمها بـ....

أبيجال إنه يكذب يا مستر دانفورث.

بروكتور راقبوها. ستصرخ صرخة من صرخاتها لتموه عليكم ولكن.

دانفورث ما دليلك على ما قلت؟ يجب أن تقدم الدليل.

بروكتور يرتعد وقد انهارت حياته أمامه، لقد عرفتها يا سيدي. عرفتها.

دانفورث أأنت - زان؟.

فرانسيس «متقززاً» جون. لا يمكن أن تقول عن نفسك.

بروكتور أوه يافرانسيس. أنت طيب ولا تعرفني على حقيقتي «إلى دانفورث» لا يمكن لأي إنسان عاقل أن يتهم نفسه ويشوه اسمه دون...

دانفورث «مشدوها» في أي وقت؟ وأي مكان؟

بروكتور « يبدأ صوته فى الرجفة وإحساسه بالعار يزداد » فى المكان اللائق بها . فى حظيرة الماشية . فى آخر أيام عملها عندى منذ ثمانية شهور مضت . كان يوما نحسا لم أربعده طمعا لراحة الضمير . « يضغط على أسنانه ليمنع نفسه من من البكاء » قد يظن الإنسان أن الله غافل لا يرى ولكنه علم بذات الصدور . وللأسف أنى علمت ذلك متأخراً بعد فوات الأوان وأنا لذلك أرجوك بل أستحلفك ياسيدى أن تراها على حقيقتها لقد ضبطتها زوجتى . زوجتى الطيبة الكريمة ولم تفضحها بل اكتفت بأن تطردها من البيوت وظنت المغروره عن غرورها ياسيدى « تغلبه عاطفته » . يا صاحب الفخامه . « يغضب عند نفسه . يبتعد عن المحافظ لحظة ثم يقرر مواصلة الكلام » إنها تظن أن فى إمكانها أن تحكم بالإعدام على امرأتى ثم تتزوجنى إنها معذورة لأنى أنا الذى شجعتها ليجازنى الله وليعاونى على اجتياز هذه المحنة لقد أثمت وها هو الانتقام يحل على من عاهرة . يجب يا سيدى أن تراها على حقيقتها . لقد أسلمت لك نفسى وكشفت عن ذاتى وها أنا أضع ذا أمرى بين يديك كليه وأطمع أن تفكر وترى المشكلة على حقيقتها .

دانفورث « متقززاً يستدير إلى ابيجال » . هل تنكرين كل ما قاله عنك ؟

ابيجال لو أجبرتنى على الإجابة فسأغادر المحكمة ولن أعود ثانية .
« يفلح تهديدها فيتردد دانفورث » .

بروكتور لقد فضحت نفسى وجعلت شرفى مضغة فى الافواه . انتهى اسمى . صدقنى ياسيد دانفورث ، إن زوجتى بريئة وهى لم ترتكب اثما ولم تزاول سحراً اللهم إلا إذا كان أكتشافها لعهر هذه الفتاة يعد اثما .

أبيجال « تخطو نحو دانفورث » لماذا تنظر إلى هكذا « تستدير نحو الباب وتمشى »

دانفورث ابقى كما أنت « يعترض هيريك طريقها » تتقدم والشرر يتطاير من عينيها » مستر باريس اذهب إلى سجن المحكمة وأحضر مسز بروكتور .

باريس « معترضا » يا صاحب الفخامة هذا كله مجرد . .

دانفورث « بحدة لباريس » احضرها ولاتخبرها بحرف واحد مما دار هنا .. وعندما تصل اطرق الباب قبل الدخول حتى لاتسمع شيئاً . « يخرج باريس » سأصل الى الحقيقة الآن «الى بروكتور» لقد قلت أن زوجتك صادقة لاتكذب .

بروكتور لم يحدث أن كذبت أبداً فى حياتها هناك أناس لايستطيعون الغناء وهناك أناس لا يستطيعون البكاء ـ وزوجتى من صنف من الناس لايعرف الكذب . لقد دفعت ثمنا غاليا لأ كتشف هذه الحقيقة عن زوجتى بنفسى ياسيدى .

دانفورث وعندما طردت هذه الفتاة من بيتك أكان السبب هو ماذكرت ؟

بروكتور نعم ياسيدى .

دانفورث وكانت تعرف أنها عاهرة ؟

بروكتور نعم ياسيدى صبطتنا معا ، وكانت تعرف أنها عاهرة ..

دانفورث حسن اذن «الى ابيجال» لو ذكرت لى زوجته أنها طردتك لارتكابك الزنا مع هذا الرجل فسيحل بك عقابى وهو عقاب شديد لو تعلمين « طرق على الباب » ينادى من على الباب ؟ .. ابق مكانك « الى ابيجال » أديرى ظهرك . أديرى ظهرك ، « الى بروكتور أدر ظهرك أنت أيضاً . » يدير الاثنان ظهريهما . ابيجال تدير ظهرها ببطء وتعبر عن اهانتها » ليبق كل منكما فى مكانه وظهره لمسز بروكتور عندما تدخل . وليبق كل فرد فى هذه الحجرة صامتا لاينطق حرفا أو يحدث اشارة «يستدير ناحية الباب وينادى » ادخل « يفتح الباب» تدخل اليزابيث مع باريس ، يتركها باريس ، تقف وحيدة وعيناها تدوران باحثة عن بروكتور » مستر شيفر ، اكتب محضر هذه الجلسة بكل دقة . هيا . هل أنت مستعد ؟

شيفر مستعد ياسيدى

دانفورث تعالى هنا أيتها المرأة « تتقدم اليزابيث اليه ناظرة الى ظهر بروكتور»

انظرى الى فقط لا الى زوجك ، انظرى الى عينى فقط ..

اليزابيث « بضعف » حسن ياسيدى ..

دانفورث لقد فهمت انك فى يوم من الأيام طردت خادمتك ابيجال وليامز من خدمتك ..

اليزابيث هذا صحيح يا سيدى ..

دانفورث فلماذا طردتها ؟ « صمت قصير .. تحاول اليزابيث اختلاس النظر الى بروكتور » انظرى فى عينى انا وحدى ولا تلتفتى الى زوجك أجيبينى من ذا كرتك ولن يساعدك احد فى الاجابة على أسئلتى .. لماذا فصلت ابيجال وليامز ؟

اليزابيث « لا تدرى ماذا تقول وتدرك خطورة الموقف فتبلل شفتيها لكسب الوقت » لم تكن ترضينى . « صمت » ولم يكن يرضى عملها زوجى .

دانفورث لم تكن ترضيك فى اية ناحية ؟

اليزابيث كانت . « تنظر إلى بروكتور لتستلهمه الجواب »

دانفورث أنظرى إلى يا امرأة « تنظر اليزابيث إليه » هل كانت كسولة ؟ بطيئة ؟ ما الذى كانت تضايقك فيه ؟

اليزابيث يا صاحب الفخامة — كنت مريضة عندما جاءتنا . وزوجى رجل طيب صالح وهو لايشرب الخمر ولايلعب القمار . ولكنه دائب العمل وحدث أثناء مرضى — نسيت أن أقول لك إنى كنت مريضة مرضاً طويلا بعد ميلاد ابنى الأخير، وظننت ان زوجى بدا يملنى وانصرف عنى قليلا - وهذه الفتاة « تستدير ناحية ابيجال »

دانفورث انظرى إلى .

اليزابيث حاضر يا سيدى . ابيجال وليامز.. « تسكت »

دانفورث ماذا عن ابيجال وليامز . .

اليزابيث ظننت أنه احبها وفى إحدى الليـــالى فقدت إدراكى السليم للأمور فطردتها .

دانفورث وزوجك . هل تحول عنك إليها فعلا ؟

اليزابيث (فى ألم) زوجى رجل طيب يا سيدى .

دانفورث إذن فهو لم يتحول عنك إليها .

اليزابيث «تبدأ فى النظر إلى بروكتور» هو ..

دانفورث يتقدم إليها ويمسك وجهها ، انظرى إلى.. هل تعلمين ان جون بروكتور قد زنى بها ؟ «لا تستطيع الكلام وهى فى ازمة من الحيرة» اجيبى على سؤالى . هل زوجك زان .

اليزابيث « بضعف » لا يا سيدى ..

دانفورث أبعدها يا مارشال .

بروكتور اليزابيث قولى الحقيقة .

دانفورث لقد اعترفت بما فى نفسها . ابعدها .

بروكتور « صارخا » اليزابيث . لقد اعترفت . اعترفت ..

اليزابيث أوه يا إلهى ! « يقفل الباب خلفها »

بروكتور إنها تحاول انقاذ اسمى كانت تحاول حماية شرفى ..

هال يا صاحب الفخامة . إن المرأة كانت تكذب كذبة متوقعة منها . أرجوك أنه هذه المحاكات قبل أن تصدر حكما بإعدام آخرين.. لا يمكننى أن أسكت ضميرى أكثر من ذلك - لقد وضح من هـــذه القضية أن المسألة مسألة انتقام . أفراد ينتقمون من بعضهم البعضهم بالدس .. لقد صدقت هذا الرجل من أول وهلة أقسم لك بالله العظيم إنى أصدقه الآن واستحلفك أن تعيد زوجته قبل أن ..

دانفورث إنها لم تؤيده فى أقواله فهو كاذب ..

هال أنا أصدقه « يشير إلى ابيجال » لدى إحساس دائم بأن هذه الفتاة تكذب إنهـــا .. « ابيجال تصرخ صرخة مفزعة وتنظر إلى السقف » .

ابيجال لا يمكنك .. اذهبى اذهبى . قلت اذهبى ..

دانفورث ماذا ألم بك يا بنيتى ؟ « ولكن ابيجال تشير بخوف وترفع عينيها المذعورتين ووجهها المرتعب ناحية السقف .. البنات الأخريات يفعلن مثلها .. ويفعل مثلها هاثورن وهال وبتنام وشيفر وهيريك ودانفورث » ماذا هناك ؟ « يخفض عينيه من السقف ويبدو عليه الخوف.. يرتعد صوته» يا ابنتى «ابيجال مسمرة والبنات يفعلن فعلها مفتحات الأفواه يحملقن فى السقف » يا بنات ! ماذا ؟

مرسى « تشير » إنها هناك خلف النافذة !.

دانفورث « ينظر فوق » أين ؟ ؟

ابيجال لماذا ؟ « تبلع ريقها » لماذا حضرت أيها الطائر الأصفر .

بروكتور أين هو هذا الطائر .. لا أرى طيوراً أمامى .

أبيجال « إلى السقف » وجهى ؟ وجهى ؟

بروكتور مستر هال .

دانفورث اسكت

بروكتور « إلى هال » هل ترى طيوراً ؟

دانفورث اسكت .

ابيجال « إلى السقف فى حوار حقيق مع الطائر كما لو كانت ترجوه أن يتركها دون أذى » ولكن الله هو الذى خلق وجهى ، وأنت لن يمكنك أن تؤذينى فى وجهى . آه إن الحسد خطيئة كبرى ياماری .

ماری (تقفز وتقول فى لهجة خائفة مستعطفة) آبى !

ابيجال (تستمر فى مناجاة الطائر) أوه ياماری هذا حرام أن تغيرى شكلك. لن أتوقف لن أكف عن الكلام ، إن الله أمرنى أن أكشفكم وأنا أفعل كما أمرنى الله .

ماری آبى أنا «هنا» .. (تضغط على هنا).

بروكتور (بجنون) انهن يمثلن يا مستر دانفورث.

ابيجال (تخطو خطوة إلى الخلف كما لو كان الطائر سيهبط فجأة ويهاجمها)

أوه أرجوك ياماري .. لا تهبطي ، أرجوك

سوازاناوالكوت تخالبها-إنها تبرز مخالبها !

بروكتور أكاذيب ! أكاذيب !

ابيجال (تتراجع وعيناها مثبتتان على السقف) ماري أرجوك لا تؤذيني .

ماري (إلى دانفورث) أنا لا أؤذيها .

دانفورث (إلى ماري وارين) ولماذا تراك أمامها .

ماري إنها لا ترى شيئاً .

أبيجال (تحملق الآن أمامها كما لو كانت منومة وتقلد نفس صوت ماري وارين .) لا ترى شيئاً .

ماري (مستعطفة) آبي أرجوك !!

ابيجال ،.. (والبنات كلن) آبي أرجوك .

ماري (إلى البنات) أنا هنا ! أنا هنا !

البنات أنا هنا ! أنا هنا !

دانفورث (متقززاً) ماري وارين ابعدي روحك عنهن .

ماري وارين مستر دانفورث !

دانفورث أتتصلين بالشيطان ؟ . هيه ؟

ماري أبداً ! أبداً !

البنات أبداً ! أبداً !

دانفورث « يصير هستيرياً » لماذا يكررن كلامك ؟

بروكتور أعطني سوطاً .. سأوقف هذه المهزلة ..

ماري إنهن يمثلن . . يلهون . إنهن . . .

البنات يمثلن .. يلهون ..

ماري « تستدير إليهن وتصرخ فيهن بلهجة هستيرية وتضرب الأرض بقدميها » آبي كفي .

البنات « يضربن الأرض بأقدامهن » آبي كفي ..

ماري كفى . .
البنات كفى . .
ماري « تصرخ بأعلى صوتها وترفع قبضتى يديها » كفى . .
البنات « يرفعن قبضات أيديهن » كفى . .
ماري « مهزومة تماماً وقد طوتها أبيجال والبنات ـ تبدأ فى النواح ويداها نصف مرفوعتين ولا حول لها ولا قوة والبنات يفعلن مثلها تماماً »
دانفورث لقد كنت منذ لحظة أنت المجنى عليك وانقلبت الآن جانيه . كيف تسلطت روحك عليهن . . من أين لك هذه القوة ؟ . .
ماري « تحملق فى ابيجال » أنا لاقوة لى . .
البنات لا قوة لنا . .
بروكتور إنهن يهزأن بك يا سيد . .
دانفورث لقد كنت فى صفهن فلماذا انقلبت عليهن . لقد رأيت الشيطان ألم تريه ؟!
هال « يشير إلى ابيجال والبنات » لا تصدقهن . .
ماري أنا . .
بروكتور « يلمس ضعفها » مارى . إن الله يلعن كل الكاذبين .
دانفورث « يواصل هجومه عليها » لقد رأيت الشيطان ـ اتصلت بابليس هيه ؟
بروكتور إن الله يلعن الكاذبين يامارى . . .
« تنطق مارى شيئاً غير مفهوم وتحملق فى ابيجال التى تظل على حالها ترقب الطائر فوقها »
دانفورث ارفعى صوتك . لا أسمعك .. فماذا تقولين ؟ « مارى تنطق مرة أخرى شيئاً غير مفهوم » اعترفى وإلا شنقتك .. « يديرها فى مواجهته بقسوة » هل تعرفين من أنا ؟ سأحكم عليك بالشنق إن لم تكونى صريحة معى
بروكتور مارى تذكرى قول الله ـ إن الأخيار هم ـ
ابيجال « تشير إلى فوق » الأجنحة إنها تنشر أجنحتها . مارى أرجوك كفى .. كفى ..

هال أنا لا أرى شيئاً ياصاحب الفخامة ..

دانفورث ألن تعترفى بمالك من قوة . « هو الآن على بعد بوصة من وجهها » تكلمى انطق !

ابيجال إنها ستهبط . إنها فوق النافذة ..

دانفورث تـكلمى ..

مارى « تحملق فيهم بخوف » عن ماذا !؟

الفتيات عن ماذا ..

باريس انبذى الشيطان تحديه دوسى عليه . سننقذك لو قاومته ياماري و —

أبيجال « تنظر » انظروا أنها ستهبط .

« تجرى مع البنات إلى أحـــد أركان الحجرة ويضعن أيديهن على عيونهن يحمينها . كما لو كانت حركة الطائر تعنيهن كلهن يصرخن صرخة عظيمة وتفتح مارى فمها كما لو كانت قد انتقلت إليها العدوى وتصرخ معهن . تغادر ابيجال والفتيات مكانهن تدريجيا وتبقى مارى وحدها محملقة فى الطائر صارخة بجنون . يراقبها الجمع وقد أذهلتهم نوبتها الظاهرة . يتقدم بروكتور إليها

بروكتور مارى . اخبرى المحافظ ماذا — « لم يكد يقول كلامه وتراه يتقدم إليها حتى تندفع بعيدا عن مداه صارخة فى فزع »

مارى لا تلمسنى — لا تلمسنى « تتوقف الفتيات عند صرختها على الباب »

بروكتور « مندهشا » مارى .

مارى « تشير إلى بروكتور » أنت رجل الشيطان . أنت عميله « يتوقف فى سيره »

باريس ليتبارك الرب .

الفتيات ليتبارك الرب .

بروكتور (اخرسى) مارى كيف — ؟

مارى لن اشنق معك إنى أحب الله .. أحب الله .

دانفورث «إلى مارى» أكان يطلب إليك أن تنضمى إلى ركب الشيطان ؟

مارى «بهستيرية مشيرة إلى بروكتور» إنه يأتينى كل ليلة وكل يوم لأوقع ، لأوقع ، لا —

دانفورث توقعين ماذا ؟

باريس فى دفتر الشيكات ؟ أكان يأتيك ومعه دفتر ..

مارى (بهستيرية مشيرة إلى بروكتور وخائفة منه) اسمى . إنه يريد اسمى أنه يقول (سأقتلك إذا شنقوا زوجتى يجب أن تذهبى ونفوض المحــكمه .

« تمتد رأس دانفورث إلى بروكتور وقد ظهرت على وجهه علامات الاشمئزاز والصدمة »

بروكتور « مستديراً وطالباً معونة هال » مستر هال . !

مارى « تبدأ فى الهنهة » إنه يوقظنى كل ليلة وعيناه كقطعتين من الجمر وتمتد أصابعه حول عنقى كالمخالب فلا أتمالك إلا أن أوقع ، أوقع .

هال لقد جنت البنية يا صاحب الفخامة ..

بروكتور « بينما عينا دانفورث تسقطان عليه » مارى ، مارى .

مارى « صارخة فيه » لا ، أنا أحب الله . لن أسير سيرك مرة أخرى .
أحب الله وأبارك الله « تهنه وتذهب إلى أبيجال مندفعة » آبى. آبى لن أوذيك مرة أخرى «الجميع يرقبون المشهد وابيجال تتقدم فى حب وعطف متناهيين وتأخذ بمارى الباكية إليها ثم تنظر إلى دانفورث»

دانفورث « إلى بروكتور » من أنت ؟ وما هى حقيقتك ؟ «بروكتور لا يقوى على الـكلام لغضبه البالغ » أأنت من حزب الشيطان ؟ لقد رأيت قوتك ولن تنكرها من أنت ياسيد ؟

هال ياصاحب الفخامة .

دانفورث لن أستمع إليك يا سيد هال « إلى بروكتور » هل تعترف بعلاقتك بالشيطان أو تظل على مخالفتك له ؟ ما قولك ؟

بروكتور « لاهثا وقد عظمت ثورته » أقول ـ أقول ـ أن الله قد(. .)

باريس اسمعوا . اشهدوا .

بروكتور « يضحك بجنون » النار تندلع وأقدام ابليس تطن فى أذني ووجهه القذر يطل أمام عينى لتحل على جنسنا لعنة الله نحن الجبناء الذين نضعف كما ضعفت أنا وكما ضعفتم انتم إذ تعلمون فى قرارة نفوسكم مقدار مافى هذا الذى أنتم فيه الآن من كذب وبهتان . ضعفنا عن أعلاء كلمة الحق وجبنا عن اظهار ما يعيش فيه الناس من جهل - ليلعن الله جنسنا الجبان وليدخلنا النار .

دانفورث مارشال . خذه وكورى معه إلى السجن .

هال (يبدأ فى الذهاب إلى الباب) أنا أحتج على هذه الاجراءات وأعلن براءتى منها .

بروكتور لقد نكستم علم الله ورفعتم شأن عاهرة .

هال أنا أحتج على هذه الإجراءات وأعلن أن لا شأن لى بهذه المحكمة . (يصفق الباب من الخارج خلفه)

دانفورث (يناديه فى غضب) مستر هال . مستر هال .

تنزل الستار

(انتهى الفصل الثالث)

الفصل الرابع

زنزانة فى سجن سالم . هناك فى المؤخرة نافذة وبالقرب منها باب ضخم ثقيل وبجانب الحائطين مقعدان طويلان . .

المكان فى ظلام ماعدا الشعاع الصادر من القمر والذى يتخلل القضبان. الحجرة تبدو خالية . تسمع خطوات من ناحية الممر ثم شخشخة مفاتيح وينفتح الباب . . . يدخل مارشال هيريك ومعه فانوس .. هو شبه مخمور وقدماه مثقلتان . يذهب إلى مقعد ويلكز كومة من الخرق ترقد فوقه . . .

* * *

هيريك سارة . . استيقظى سارة جود « يذهب إلى المقعد الثانى »

سارة (تنهض فى أسمالها) أوه يا صاحب الجلالة حالا حالا . تيتوبا إنه هنا . صاحب الجلالة حضر . .

هيريك إذهبي إلى الزنزانة الشمالية هذه الزنزانة مطلوبة الآن (يعلق فانوسه على الحائط تقوم تيتوبا)

تيتوبا لا يبدو عليه كصاحب الجلالة . . . يبدو أنه مارشال . . .

هيريك (يخرج قنينة خمر) هيا اخرجا من هنا الآن . (يشرب وتأتى سارة جود وتحملق فى وجهه)

سارة آه ، أهو أنت يا مارشال ، كنت أحسبك الشيطان قدم ليخاصنا ، اعمل معروفا أعطنى جرعة عصير ؟

هيريك (يناولها القنينة) وإلى أين تنوين الذهاب يا سارة ؟

تيتوبا (بينما سارة تشرب) سنذهب إلى باربادوس حالما يحضر الشيطان ومعه الريش والأجنحة .

هيريك أوه ؟ إذن فرحلة سعيدة لكما

سارة	ياله من تغيير يا مارشال . سنكون طائرين صغيرين . كلانا . وسنولى جنوبا (ترفع القنينة لتشرب مرة أخرى)

هيريك	(يأخذ القنينة من على شفتيها) من الأوفق لك أن تعطينى هذه وإلا فلن تقوى من على الأرض أبدا . هيا الآن . . .

تيتوبا	سأتوسط لك عنده لو شئت الرحيل معنا يا ماشارل . . .

هيريك	قبلت يا تيتوبا . إنه أنسب يوم للطيران إلى الجحيم . .

تيتوبا	إن باربادوس ليست جحيما ، كلهم يحبون الشيطان هناك ويصادقونه ويغنون ويرقصون معـــه لا كلكم هنا حيث تحرمونه وتلعنونه فى ماساشوستس تجارته كاسدة وفى باربادوس نحبه و . . . « تسمع خوار بقرة فتقفز تيتوبا وتنادى من النافذة » نعم ياسيدى . . إنه هو ياسارة . .

سارة	أنا هنا ياصاحب الجـــلالة « يسرعان بجمع خرقهما بينما يدخل هو بكنز الحارس »

هوبكنز	وصل نائب المحافظ . .

هيريك	« يمسك تيتوبا » هيا . هيا . .

تيتوبا	« تقاومه » لقد حضر خصيصاً ليأخذنى معه إلى بلدنا . .

هيريك	« يجذبها ناحية الباب » ليس هذا خوار الشيطان . إنه خوار بقرة هزيلة أتعبها امتلاء ضرتها باللبن . هيا الآن . . اخرجا . .

تيتوبا	« تنادى ناحية النافذة » خذنى إلى بلدى ياشيطان . خذنى إلى بلدى

سارة	« تصيح خلف تيتوبا » أذكرى له ياتيتوبا بأنى قادمة أنا الأخرى . قولى له إن سارة ستذهب أيضاً . . .

(يسمع صوت تيتوبا من الخارج وهى تصيح « خذنى معك ياسيدى . خذنى إلى بلدى . . صوت هوبكنز يأمرها بالمسير « امشى تحركى » يعود هيريك ويجمع الخرق والقش ويكومهما فى ركن ويستدير عندما يسمع صوت أقدام فيدخل دانفورث والقاضى هاثورن مرتدين

معطفين ضخمين ويضعان قبعتين ضد المطر . يتبعهما شيفر حاملا حقيبة أوراق وصندوق أدواته الكتابية)

هيريك صباح الخير ياسيدى

دانفورث أين السيد باريس . .

هيريك سأبحث عنه وأحضره « يذهب إلى الباب »

دانفورث مارشال « يتوقف هيريك » متى وصل السيد هال ؟

هيريك أظن فى منتصف الليل

دانفورت « بشك » وماذا يفعل هنا ؟

هيريك يزور المحكوم عليهم بالإعدام ياسيدى ويصلى معهم . إنه يجلس الآن مع جودى نيرس والسيد باريس معه .

دانفورث هيه . . هذا الرجل لايملك حق الدخول هنا يامارشال فلماذا سمحت له بالدخول؟ .

هيريك السيد باريس هو الذى أمرنى يا سيدى . ولم تطاوعنى نفسى على عصيانه . .

دانفورث هل أنت مخمور يامارشال ؟

هيريك لا يا سيدى . الليلة باردة ولا نار عندى هنا . .

دانفورت « متمالكا نفسه من الغضب » هيا اذهب وأحضر السيد باريس . .

هيريك حاضر يا سيدى . .

دانفورث الرائحة كريهة هنا . .

هيريك لقد أخليت المكان الآن فقط من أجل سيادتك .

دانفورث احذر من السكر يا مارشال .

هيريك حاضر يا سيدى « ينتظر لحظة مزيداً من الأوامر ، ولكن دانفورث يدير له ظهره فى غير رضى ويخرج هيريك لحظة صمت . يتوقف دانفورث مفكراً »

هاثورن	استجوب هال يا صاحب الفخامة فإنني لن أدهش لو علمت أنه كان يعظ في أندوفر مؤخراً . .

دانفورث	سنتحدث في ذلك في وقته فلا تذكر أندوفر . غريب أن يصلي باريس معه ! « ينفخ في يديه ويتوجه إلى النافذة وينظر خارجها »

هاثورن	أنا لا أرى ياصاحب الفخامة أن يتردد باريس باستمرار على المسجونين « دانفورث يستدير إليه مهتماً » لقد صارت للرجل نظرات كنظرات المجانين هذه الأيام . .

دانفورث	مجانين . . ؟

هاثورن	لقد قابلته أمس خارجاً من منزله فحييته تحية الصباح - ولكنه كان يبكي واستمر يبكي وذهب لحاله . في رأيي يجب ألا يراه أحد على هذه الحال في القرية . .

دانفورث	ربما حلت به مصيبة .

شيفر	(يضرب قدميه في الأرض لينشطهما من البرد) المصيبة التي حلت به هي البقر ياسيدي.

دانفورث	البقر ؟

شيفر	عندما سجن كثير من الفلاحين أصبحت أبقارهم ولا مالك لها وخرجت ضالة في الطريق وتنازعها الناس فيما بينهم وكان السيد باريس يجادل الفلاحين طوال أمس البلد كلها في صراع ياسيدي . صراع على البقر والصراع يجعله يبكي لأنه يولد القلق حاله في ذلك حال أي إنسان آخر . (يسمع صوت قادم فيستدير ناحية الباب هو ودانفورث وهاثورن . دانفورث يرفع رأسه بينما يدخل باريس . صار هزيلا مذعورا يرتدي معطفا كبيرا والعرق على وجهه ..

باريس	(يقول لدانفورث في الحال) أوه صباح الخير ياسيدي .. أشكرك لمجيئك وأعتذر عن إيقاظك مبكراً هكذا . صباح الخير أيها القاضي هاثورن ..

دانفورث لا حق للسيد هال فى الدخول إلى هذا . . .

باريس لحظة ياصاحب الفخامة (يسرع إلى الباب ويقفله)

هاثورن هل تركه وحده مع المسجونين ؟

دانفورث وماذا يفعل هنا ؟

باريس (يرفع يديه كمن يصلى) اسمعنى ياصاحب الفخامة . إنها نجدة من السماء. لقد عاد القس هال ليحاول إرجاع ربيكا نيرس إلى حظيرة الإيمان..

دانفورث (مندهشاً) أو يطلب منها أن تعترف ؟!

باريس (جالساً) اسمعانى . إن ربيكا لم تحكى كلمة واحدة منذ مجيئها هنا من ثلاثة شهور وهي تجلس الآن معه ومعها أختها ومارتا كورى وامرأتان او ثلاث أخريات ، وهو يحاول دفعهن إلى الاعتراف بجرائمهن و إنقاذ حياتهن ..

دانفورث لو فعل ذلك حقيقة لكان عمله نجدة من السماء . هل ضعفن . هل ضعفن ؟

باريس ليس بعد . ليس بعد . . ولكننى فكرت فى استدعائكما حتى نرى ما إذا كان من الحكمة أن (لايجرؤ على التصريح بما يود أن يقوله) رأيت أن أسأل سؤالا وأرجو ألا . . .

دانفورث كن واضحاً ياسيد باريس وقل ماذا يقلقك . .

باريس ابنة أخى ياسيدى ابنة أختى اختفت .

دانفورث اختفت ..

باريس رأيت أن ابلغك بخبر اختفائها فى بداية الأسبوع ولكن . .

دانفورث منذ متى اختفت ؟

باريس هذه هى الليلة الثالثة . قالت لى إنها ستبيت ليلة عند مرسى لويس ، ولما لم تعد فى اليوم الثانى أرسلت إلى السيد لويس سائلا عنها ولكنه أخبرنى أن ابنته مرسى ذكرت له هى الأخرى أنها ذاهبة لتبيت فى بيتى . .

دانفورث هل رحلت الاثنتان ؟

باريس « خائفاً منه » كلتاهما ياسيدى . .

دانفورث « خائف » سأرسل فرقة خلفهما . .وأين يمكن أن نجدهما . .

باريس أظن أنهما أخذتا مركبا ياصاحب الفخامة « يفغر دانفورث فاه »

ذكرت لى ابنتى أنهما كانتا تتحدثان عن البواخر فى الأسبوع الماضى واكتشفت الليلة كسر خزانتى « يدعك عينيه باصابعه ليمنع الدموع من السقوط »

هاثورن « مندهشا » هل سرقت مالك ؟

باريس سرقت واحدا وثلاثين جنيها وتركتنى مفلسا « يغطى وجهه ويبكى »

دانفورث أنت رجل لا عقل لك ياسيد باريس (يمشى مفكراً وقلقاً قلقا عظيما)

باريس لن ينفع لومك لى ياصاحب الفخامة. لا بد من سبب دفعهما إلى الهرب من سالم (يستعطف) يجب أن تنتبه ياسيدى أن ابيجال تعرف المدينة جيدا ومنذ أن انتشرت أخبار أندوفر هنا

دانفورث أندوفر تطهرت والمحكمة ستعود إلى الا نعقاد هناك يوم الجمعة وستواصل الاستجواب .

باريس تماماً ياسيدى ولكن الشائعات هنا تقول إن الثورة قد اندلعت فى أندوفر وأنها . .

دانفورث لم تندلع ثورات فى أندوفر

باريس أنا أنقل فقط إليك ما يقولونه هنا يا سيدى . يقولون إن اندوفر قد حلت المحكمة . . وأنهم رفضوا أن يتهمهم أحد بممارسة السحر . ولقد تلقفت جماعة من الناس هنا هذه الشائعات وأثرت فيها وأؤكد لك يا سيدى أنى خائف من حدوث مظاهرة ضدنا .

هاثورن مظاهرة ! ! أنا لم ألمس بعد تنفيذ كل حكم بالإعدام إلا الرضاء التام فى المدينة ! !

باريس أيها القاضى هاثورن . كانت أحكام الإعدام القديمة تنفذ فى طبقة غير الطبقة التى تزمع إعدام بعض أفرادها اليوم – ربيكا نيرس ليست بريدجيت التى عاشت ثلاث سنين مع بيشوب قبل أن تتزوجه !!

وجون بروكتور ليس إيزاك وارد الذى أفلس عائلته بإدمانه الخمر !!
(إلى دانفورث) تمنيت على الله لو كان حالهم كحال أولئك ياسيدى !!
ولكن هؤلاء الناس مازالت لهم سطوة ونفوذ فى المدينة !! دع ربيكا
تقف على المشنقة وتصلى وسترى الناس وقد انفعلوا وأثيروا واستيقظ
فيهم الانتقام منك !!

هاثورن لقد أدانتها المحكمة يا صاحب الفخامة ورأت المحكمة . .

دانفورث (متهما اهتماما بالغاً . . يرفع يده إلى هاثورن) أرجوك (إلى باريس)
وماذا تقترح إذن ؟

باريس أقترح أن يؤجل تنفيذ أحكام الإعدام لبعض الوقت . .

دانفورث لن يكون هناك تأجيل . .

باريس لقد بعثت عودة السيد هال بعض الأمل لو صدق ظنى - فلو أنه
أعاد الإيمان إلى واحدة منهن وحثها على الاعتراف فسيدفع اعترافها
بقيتهن بالجرم فى نظر الرأى العام . . أما وهن يرفضن الاعتراف
ويضعن الجمهور موضع الشك فى اتهامهن فسيبكيهن كثير من المخلصين
وسيضيع الحق الذى دافعنا عنه بين دموعهن .

دانفورث (يفكر لحظة ثم يذهب إلى شيفر) أعطنى القائمة (يفتح شيفر الحقيبة
ويبحث فيها) .

باريس لا تنسى يا سيدى أنى عندما جمعت الناس لأسمعهم قرار تخلى الكنيسة
عن جون بروكتور لم يكن هناك أكثر من ثلاثين منهم .. معنى
ذلك أنهم غير راضيين وأن ..

دانفورث (يدرس القائمة) لن يكون هناك تأجيل ..

باريس يا صاحب الفخامة !

دانفورث والآن ياسيدى . أى هؤلاء فى اعتقادك يمكن أن نؤثر عليه حتى يفىء
إلى الله ؟ سأحاول بنفسى معه حتى الفجر .. (يناول باريس القائمة
التى يلقى عليها نظرة فقط)

باريس	لا يكفي الوقت حتى الفجر .
دانفورث	سأبذل قصارى جهدى . أى هؤلاء تأمل أن يعترف ؟ !
باريس	(لا يحفل الآن حتى بإلقاء نظرته على القائمة ويقول هادئاً وبصوت راعش) يا صاحب الفخامة ـ انظر .. هذا خنجر ـ (يتوقف ويبلع ريقه)
دانفورث	ماذا تقول ؟
باريس	الليلة عندما فتحت بابى لأخرج ـ طار هذا الخنجر واستقر على الأرض . . « صمت . يتلقى دانفورث الخبر باهتمام ويصيح باريس . . » لا يمكن أن تشنق هذا الصنف من الناس . هناك خطر على لن أجرؤ على أن أخطو خطوة خارج بيتى ليلا « يدخل القس هال . ينظرون إليه لحظة فى صمت هال مجلل بالحزن تعب وأكثر صراحة عما كان من قبل » .
دانفورث	تهانئى القلبية لك ياسيد هال . . يسرنا أن تعود إلى عملك الخير . .
هـال	(يذهب إلى دانفورث) يجب أن تعفو عنهم يا سيدى . إنهم لن يستسلموا . .
	(يدخل هيريك وينظر)
دانفورث	(متملقاً) إنك أخطأت فهمى ياسيدى .. لا يمكننى أن أعفو عن هؤلاء فى الوقت الذى شنقت فيه اثنى عشر لنفس الجريمـــة . لن أكون عادلا لو فعلت ماتطلبه منى ..
باريس	(بخيبة أمل) أترفض ربيكا الاعتراف ؟
هـال	ستشرق الشمس بعد دقائق قليلة ياصاحب الفخامة . يجب أن تتيح له فرصة أكبر .
دانفورث	اسمعانى الآن ولا تخدعا أنفسكما أكثر من ذلك .. لن أقبل أى طلب بالعفو أو التأجيل . سيشنق الذين يرفضون الاعتراف . شنقنا اثنى عشر وأعلنا عن شنق سبعة والمدينة كلها تتوقع أن تشهد موتهم فى الصباح . فالتأجيل فى غير صالحى الآن . والعفو عنهم سيشكك فى عدالة الحكم على الذين ماتوا . وما دمت أنى فى جانب الله وأتكلم باسمه فلن أتهاون أو أتخاذل . فإذا كنتما تخشيان على أنفسكما من الثأر

فلتعرفا أنى أفضل أن أشنق عشرة آلاف شخص على كسر القانون ، وأن تراق أنهار من الدموع على انتهاك حرمة الشريعة !! والآن تشجعا كرجلين واحزما أمركما وساعدانى كما تأمركما السماء . هل تحدثت إليهم كلهم يا سيد هال ؟

هال — كلهم ماعدا بروكتور فهو محبوس فى الزنزانة السفلى . .

دانفورث — (إلى هيريك) وكيف حال بروكتور الآن؟

هيريك — يجلس مترقباً كالنسر . . ولو لم يتنـــاول بعض الطعام من وقت لآخر لمات . .

دانفورث — (بعد أن يفكر لحظة) زوجته . . لابد أن زوجته قد تقدمت فى حملها الآن . .

هيريك — نعم ياسيدى . .

دانفورث — فماذا ترى ياسيد باريس ؟ أنت أدرى بهذا الرجل . . هل وجود زوجته قد يبعثه على الاعتراف ؟

باريس — محتمل يا سيدى . إنه لم يرها منذ ثلاثة شهور لذا أرى أن تستدعيها .

دانفورث — (إلى هيريك) هل هو صلب كما كان ؟ هل هاجمك مرة أخرى ؟!

هيريك — لقد قيدناه بالسلاسل إلى الحائط .

دانفورث — (يفكر ثم يقول) احضر جودى بروكتور ثم احضره بعدها .

هيريك — حاضر يا سيدى . (يذهب هيريك . صمت)

هال — إنك يا سيدى لو أجلت تنفيذ الإعدام أسبوعا ثم أعلنت على الملأ أنك تحاول الحصول على اعترافات منهم فهذا دليل على الرأفة من جانبك لا على التخاذل .

دانفورث — ياسيد هال ، الأعمار بيد الله وليس فى وسعى أن أفعل شيئاً من أجلهم

هال — (بلهجة اقسى) لو كنت تظن أن الله قد قدر موتهم على يدك وأنه قد ادخرك لتثير الفتنة يا سيد دانفورث فأنت مخطىء .

دانفورث — (فى الحال) وهل سمعت الناس يتحدثون عن الفتنة فى المدينة ؟

هال لقد كثر اليتامى يا سيدى فى المدينة . وانتشرت الأبقار الضالة فى الطرقات ، ورائحة المحاصيل المتعفنه فى المدينة تزكم الأنوف ، والرهبة تملأ القلوب ـ ومع ذلك تعجب منى إذا قلت لك إن الناس يتحدثون عن الثورة ؟ كان أصوب لو أنك عجبت لعدم إشعالهم النار فى البلد كله ؟

دانفورث هل ألقيت مواعظ فى أندوفر يا سيد هال خلال هذا الشهر .

هال لا يا سيدى لقد أعفانى الله من حاجتهم إلى فى أندوفر .

دانفورث أنت تحيرنى يا سيدى . لماذا عدت إلى هنا ؟

هال الأمر فى غاية السهولة . لقد عدت لأقوم بما كان يقوم به الشيطان هنا . عدت لكى أعظ المسيحيين أن يكذبوا وينافقوا أنفسهم . (تتدى سخريته) هناك دم فوق رأسى ألا ترى الدم المسفوح على رأسى .

باريس هوش . (لأنه سمع صوت أقدام . يواجهون جميعهم الباب . يدخل هيريك واليزابيث . يداها مصفدتان فى القيود التى يفكها هيريك الآن . ملابسها قذرة ووجهها شاحب وهزيل . يخرج هيريك) .

دانفورث « بأدب بالغ » جودى بروكتور « صامتة » أرجو أن تتشجعى .

اليزابيث « تذكره بتحذير » مازالت أمامى ستة شهور على الوضع .

دانفورث أرجوك استريحى . نحن لم نحضر لكى نشنقك نحن . . . (غير متأكد كيف يتملقها لأنه غير معتاد على ذلك) أرجوك ياسيد هال أن تتحدث معها بخصوص ما اتفقنا عليه . .

هال جودى بروكتور . زوجك سيشنق هذا الصباح . . .

(صمت)

اليزابيث (بهدوء) لقد عرفت النبأ . .

هال قد تعلمين ـ أن ليس لى صلة بالمحكمة ؟ (تبدو فى شك من ذلك) لقد حضرت من تلقاء نفسى يا مسز بروكتور . أريد أن أنقذ حياة زوجك لأنه لو شنق فسأعتبر نفسى قاتله . هل تفهميننى ؟ . .

اليزابيث ماذا تريد منى ؟

هال أرجوك يا مسز بروكتور ـ لقد قاسيت وتعذبت طويلا هذه الشهور الثلاثة الأخيرة ـ إن الرجل العادى قد يكذب ويغفر له الله لو تاب ولكن القسيس عندما يدعو الناس إلى الكذب فذنبه ذنبان . .

هاثورن ما تدعو إليه ليس كذبا . لا تتحدث عن الكذب . .

هال بل هو كذب . . إنهم أبرياء . .

دانفورث كفى وإلا . . .

هال (يستمر محدثا اليزابيت) لا تخطىء فهم واجبك كما أخطأت فهم واجبى . لقد أتيت إلى هذه القرية فرحا مستبشرا كعريس أستخفه الحب ، أحمل ملء يدى هدايا غالية من حكم الدين الرفيعة وأهب سكانها أقدس مواعظه ، ولكنى كلما لمست ثقتى شيئا أحالته مواتا وكلما وقعت عينا عقيدتى على شىء فجرت منه الدم ! ! الحذار يا مسز بروكتور ! ! لا تصدقى دينا يدمر أصحابه ولا تؤمنى بعقيدة تصيب معتنقيها بالموت ! ! أى قانون هذا الذى يضحى بك على مذبح الحياة أيتها المرأة ، الحياة هى أثمن هدايا الله لنا . . ولا يوجد مبدأ مهما بلغت عظمته يبرر سلبها . فاستحلفك أيتها المرأة أن تقنعى زوجك بالاعتراف . حثيه على الكذب . لا تخشى غضب الله على الكاذبين . ربما كان عقابه للكاذب أقل من عقابه لمن يبعثر حياته متمسكا فى غرور بالصدق . استحلفك أن تقنعيه . أنت الوحيدة التى يمكنها أن تؤثر عليه وأنت الوحيدة التى آمل أن تنقذه من مصيره ..

اليزابيث (بهدوء) أهذا كلام يصدر عن رجل من رجال الدين .. ؟

هال (فى يأس) أيتها المرأة إننا أمام شريعة الله أغبياء . من ذا الذى يستطيع ادعاء قراءة إرادة الله ! من ذا الذى يدعى معرفة حكمة الله فى عقابه وثوابه !!

اليزابيث أنا لست ندا لك . لا أستطيع مجاراتك فى المناقشة فأنا قاصرة التعلم .

دانفورث (ذاهبا إليها) ونحن لم نستدعك لنناقشك . إن زوجك سيموت

عند الشروق فهل مازلت تحبينه ؟ هل مازلت تحملين له فى قلبك حنان الزوجة ؟ زوجك ! زوجك سيموت ! هل تفهمين ؟ (تنظر إليه فقط) ماقولك ؟ هل تحاولين إقناعه ؟ (صامتة) هل جمدت؟ ألا تسمعين ؟ ألا تفهمين ؟ هل أنت حجر ؟ لو طلبوا منى دليلا على كفرك وإلحادك فليس أمامى دليل أقوى من هذا الدليل .. عيناك اللتان لاتطرفان ولاتسكبان دمعة واحدة على هذه المأساة لو كنت قردة لبكيت . هل أصبحت من كفرك ناضبة العين من الدموع مفلسة الصدر من الشفقة (صامتة) خذها إلى السجن . لن يجدى الكلام معها شيئا ..

اليزابيث « بهدوء » إذن فلأحاول التحدث معه ..

باريس « فى أمل » هل ستحاولين ؟ « تتردد »

دانفورث هل تقنعينه بالاعتراف ؟

اليزابيث لا أعدكم بشىء لأحاول فقط التحدث معه ..

صدى أقدام على الأرض الحجرية . يستديرون . صمت . يدخل هيريك ومعه جون بروكتور . معصماه مقيدان . لقد استحال شخصا آخر ، ملتحيا قذرا ، عيناه غائمتان كما لو كان العنكبوت قد عشش فوقهما . . يتوقف عنـــد المدخل عندما تعثر عيناه على اليزابيث . تمنع العاطفة التى تجيش فى صدر الاثنين أحدا من الكلام للحظة . هال يتأثر فيذهب إلى دانفورث ويتحدث فى هدوء .

هال أرجوك أن تتركهما وحدهما ياسيدى ..!

دانفورث « يدفع هال فى تعجل بجانبا » لبد إعلمونك بتنفيذ الحكم عليك هذا الصباح . أليس كذلك ياسيد بروكتور ؟

(بروكتور صامتا محملقا فى اليزابيث) لقد قارب النهار على البزوغ ياسيد . تشاور فى الأمر مع زوجتك وتمنياتى لك أن تتراجع عن

غيك (بروكتور صامتا محدقا فى اليزابيث)

هيال (بهدوء) ياصاحب الفخامة إن . .

(دانفورث يمرق أمام هال ويخرج هال يتبعه . شيفر يقف ثم يتبعهما ويليه هاثورن . يذهب هيريك . باريس يقول من مسافة مأمونة) .

باريس لو رغبت فى تناول فنجال من شراب التفاح فأنا . (بروكتور يحد جه بنظرة باردة فيتوقف .. باريس يرفع كفيه ناحية بروكتور) ليلهمك الله الهدى الآن . (يخرج باريس) .

(يسير بروكتور وحيدا إليها ويتوقف . الأثنان كما لو كانا فوق أرجوحة . حالهما يرثى له . يمد إليها يده كما لو كان إلى شبح غير حقيق وعند ما يلمسها يخرج منه صوت غريب رقيق نصفه ضحكة ونصفه دهشة . يربت على يدها . تغطى يده بيدها . ثم يجلس من الضعف . ثم تجلس هى فى مقابلته . .)

بروكتور الطفل ؟

اليزابيث يكبر . .

بروكتور وكيف حال الأولاد ؟ ألم تصلك كلمة عنهم ؟ ؟

اليزابيث إنهم بخير فى رعاية ريبكا صامويل . .

بروكتور ألم تريهم ؟

اليزابيث لم أرهم (تكتشف ضعفا فى نفسها فتكبته) .

بروكتور أنت — مدهشة يااليزابيث . .

اليزابيث هل عذبوك ؟

بروكتور نعم (صمت . إنها لا تريد أن تنهار تحت فيض العاطفة التى تهدد بغمرها) إنهم سينفذون الحكم الآن . .

اليزابيث أعرف ذلك . . .

(صمت)

بروكتور ألم — يعترف أحد بعد ؟

اليزابيث اعترف كثيرون . .

بروكتور ومن هم ؟

اليزابيث اعترف مائة أو أكثر هكذا يقولون . منهم جودى بالارد وإزايا جودكايند وأخريات . .

بروكتور وربيكا ؟

اليزابيث لا . ربيكا لم تعترف . إنها قاب قوسين من السماء . . لن يضيرها شيء الآن . .

بروكتور وجايلز ؟

اليزابيث ألم تسمع بما حدث له ؟

بروكتور أنا لا أسمع شيئاً فى زنزانتى . .

اليزابيث جايلز مات . .

(ينظر إليها غير مصدق . .)

بروكتور ومتى شنقوه ؟

اليزابيث (بهدوء وكأنها تقول حقيقة) لم يشنقوه . رفض أن يجيب على أسئلتهم بنعم أولا لأنه كان يعرف أنه لو أنكر التهمة فسيحكمون عليه مع ذلك بمصادرة ممتلكاته ولو رفض الإجابة إطلاقا حكموا أيضاً عليه بالإعدام ولكنهم لم يصادروا ممتلكاته ، لذلك فضل أن يظل صامتاً وهكذا مات شهيد القانون وورث أبناؤه مزرعته من بعده . هذا هو القانون . .

بروكتور إذن فكيف مات ؟

اليزابيث (برقة) دفعوه إلى ذلك ياجون . .

بروكتور دفعوه . .

اليزابيث كانوا يضعون حجارة ضخمة على صدره ليدفعوه إلى الإجابة بنعم أو لا (تبتسم ابتسامة رقيقة فى ذكرى الرجل العجوز) يقولون إنه لم يفه إلا بثلاث كلمات . . . « مزيدا من الحجارة » ومات . .

بروكتور (مخرساً . . لقد زاد ألمه) مزيداً من الحجارة ! !

اليزابيث نعم .. لقد كان جايلز كورى رجلا عنيدا مخيفاً ..
(صمت)

بروكتور «بإرادة ضخمة ولكنه لاينظر إليها»لقد فكرت أن أعترف يااليزابيث «لا يظهر عليها شيء» فما قولك ؟ ما قولك لو اعترفت ؟

اليزابيث أنا لست قاضيك يا جون .
« صمت »

بروكتور « ببساطه ـ سؤال ساذج »
ماذا تقترحين على أن أفعل ؟

اليزابيث أنا راضية عن كل ما تفعله « صمت قصير » أريدك حيا يا جون . هذا مناى .

بروكتور «يسكت ثم يقول بأمل خائب»وماذا عن زوجة جايلز ؟ هل اعترفت

اليزابيث لن تعترف . « صمت » .

بروكتور إننى دعى يااليزابيث ؟

اليزابيث دعى . لماذا ؟

بروكتور أنا لن أصعد درجات المشنقه بروح القديسين . إننى دعى . أنا لست قديسا (هى صامتة) لقد تدنست طهارتى يا اليزابيث . لم أعد بعد ذلك الرجل الطيب . لن أخسر شيئاً لو أعطيتهم الكذبة التى يطلبونها إنها كذبة عفنة أعتدتها منذ زمن طويل ..

اليزابيث ولو أنك تقول ذلك إلا أنك لم تعترف حتى الآن . هذا دليل على طيب عنصرك ياجون .

بروكتور ولو أن هذه تخرسنى من الصعب على الإنسان أن يكذب أمام كلاب كهؤلاء (صمت لأول مرة يستدير مباشرة إليها) أتغفرين لى لو كذبت يا اليزابيث .

اليزابيث ومن أنا حتى أغفر يا جون .. أنا

بروكتور أتراك تلتمسين لى عذراً لو فعلت ؟ أتتركين من لم يكذب أبداً يموت من أجل الصدق ؟ كيف أترك نفسى أموت من أجل كبريائى ؟ ولو حدث وكذبت أتعتقدين أن الله لا يبصر إخلاصى وحيرتى

فى مأزق ؟ أتعتقدين أن عدم كذبي وموتى فى صالح أولادى ؟
ومن يربيهم من بعدى ؟
(صمت) ما قولك يا اليزابيث ؟

اليزابيث « تتنهد تنهداً يهددها بالانهيار » وما جدوى أن أسامحك إذا لم تكن أنت نفسك مسامحاً نفسك ؟ « يستدير قليلا فى ألم فظيع » إن الروح التى ستموت أو ستعيش هى روحك وليست روحى « يقف كما لو كان ألمه جثمانيا ويقف على أقدامه تدريجيا فى ضيق هائل لمعرفة جواب سؤاله من الصعب أن يقرر وهو يكاد يبكى » أرجو فقط أن تعى ما سأقوله لك جيدا لأنى متأكدة منه الآن .. إن كل ماتفعله خير لأنك رجل طيب « يحول إليها حملقته الشاكة الباحثة » لقد قرأت قلبى طوال هذه الشهور الثلاثة ياجون «صمت» راجعت آثامى فوجدت أننى ماكان بوسعى أن أتهمك بالزنا . إن الزوجة التى لا تحب هى التى تستطيع أن تتهم زوجها بهذه التهمة ياجون ..

بروكتور (فى ألم بالغ) كفى .. كفى .
اليزابيث (تصب مافى قلبها الآن) من الأوفق أن تعرف زوجتك ..
بروكتور كفى .. كفى .. أنا أعرفك ..
اليزابيث لقد تحملت آثامى بجانب آثامك ياجون ..
بروكتور (فى عذاب) لقد تحملت آثامى وحدى .. آثامى فقط ..
اليزابيث جون أنا أعتبر نفسى إنسانة ناقصة العقل طفلة فى عواطفها ولم أكن أحبك الحب اللائق عندما كنت أقبلك كان الشك هو الذى يقبلك . لم أكن أدرى كيف أعبر لك عن حبى . كان بيتنا بيتا خلوا من الحب الزوجى السليم وكان السبب أنا (تكف مذعورة عندما يدخل هاثورن)

هاثورن ماذا قررت يابروكتور ؟ عما قليل تشرق الشمس .
بروكتور (يعلو صدره ويهبط ويحملق ، ثم يستدير إلى اليزابيث . تذهب إليه كما لو كانت تستعطفه ويرتعش صوتها)

اليزابيث : افعل ماتشاء . وكن قاضى نفسك . لا تسمح لأحد أن يحكم على أعمالك . ليس هناك على ظهر الأرض من هو أقدر على الحكم على جون بروكتور من جون بروكتور نفسه . وسامحنى . سامحنى ياجون . لم يكن لى علم بكل مابنفسك من خير ولم أعرف إنسانا فى الدنيا على هذا القدر من الطيبه (تغطى وجهها وتبكى) (يستدير بروكتور منها إلى هاثورن . صوته أجوف وكأنه ليس نفسه)

بروكتور أريد أن أعيش ..

هاثورن (يتكهرب مندهشا) أتعترف .. ؟

بروكتور أريد أن أعيش ..

هاثورن (بنغمة غريبة صوفية) ليتبارك الرب . إنها العناية الإلهية (يندفع من الباب ويسمع صوته وهو ينادى فى الممر) سيعترف بروكتور سيعترف ...

بروكتور (صارخا وهو يخطو إلى الباب) لماذا تعلن اعترافى هكذا ؟ (فى ألم بالغ يعود إليها) إن عملى شر . أليس كذلك ؟

اليزابيث (فى فزع باكية) لا يمكننى الحكم عليك يا جون . ليس فى مقدورى ذلك . .

بروكتور فمن إذن يستطيع الحكم على عملى ؟ ! ! (فجأة يمسك بيديه) يا إلهى الذى فى السماء من هو جون بروكتور ؟ من هو جون بروكتور ؟ (يتحرك كالحيوان يعصره الغضب باحثاً منقباً) إن عملى فى رأيى لايؤذى أحداً . هذا ماأراه . أنا لست قديساً (كما لو كانت قد أبت موافقته على كلامه فيقول لها غاضباً) لتذهب ربيكا كالقديسات أما أنا فلن أضحى بنفسى . لو فعلت لكنت دعياً . .

« تسمع أصوات فى الصالة تتحدث مع بعضها فى اضطراب مكتوم »

اليزابيث أنا لست قاضيك ولن أكونه « كما لو كانت تمنحه الحرية » إفعل ما تشاء . إفعل ما تشاء . .

بروكتور هل فى استطاعتك أن تعطيهم هذه الفرية ؟ ردى . هل فى مقدورك أن تكذبى لهؤلاء ؟ « هى لا تستطيع الإجابة » إنك لن تكذبى .

لو عذبوك بأسياخ الحديد المحماة فلن تمكنني . إنه شر ـ إذن فهو شر ـ أو أنا الذى أفعله ؟

« هاثورن يدخل مع دانفورث ومعهما شيفر وباريس وهال . يدخلون بسرعة كأن لديهم عمل وكما لو كان الثلج قد ذاب »

دانفورث (براحة وامتنان) ليتبارك الرب يارجل . ليتبارك الرب .. إن الله سيرضى عنك لما فعلت ..

(شيفر يسرع إلى المقعد الطويل ومعه زجاجة الحبر والورق والقلم . بروكتور يرقبه) هيا إذن نكتب ما تقول . هـــل أنت مستعد يا سيد شيفر ..

بروكتور (ببرود وبفزع لاستعداداتهم) لماذا تريدون كتابة اعتراف ؟

دانفورث لكى تعـــلم به القرية يا سيد .. سنعلقه على باب الكنيسة (بسرعة إلى باريس) أين مارشال ؟

باريس (يجرى إلى الباب وينادى من الممر) مارشال .. اسرع ..

دانفورث هيا إذن ياسيد وتكلم ببطء وفى الموضوع حتى تيسر على شيفر كتابة ما تقول (يبدأ فى التسجيل ويملى على شيفر الذى يكتب) هل رأيت الشيطان يا سيد بروكتور ؟ (تقفل فكا بروكتور) هيا يا رجل . لقد رأيت الدنيا تنير والبلد كله منتظر تحت المشنقه . أريدهم أن يعلموا بالخبر . هل رأيت الشيطان ؟

بروكتور نعم رأيته ..

باريس ليتبارك الرب ..

دانفورث وعندما كان يجيئك ماذا كان يريد ؟ « بروكتور صامتا ودانفورث يساعده » هل طلب إليك أن تفتن الناس فى الدنيا ؟

بروكتور نعم

دانفورث وهل قبلت أن تدخل فى زمرته ؟ يستدير دانفورث عندما تدخل ربيكا نيرس مع هيريك الذى يساعدها على المشى . وهى لاتكاد تقوى على المشى « ادخلى ادخلى يا امرأة ..

ريبكا « تتشجع عندما ترى بروكتور » آه جون . أنت مصاف إذن ..
يلتفت بروكتور برأسه للحائط .

دانفورث تشجع يارجل تشجع .. دعها تراك وأنت تعترف حتى تحذو حذوك وتفيء إلى الله . اسمعي ما يقول يا مسز نيرس .. تكلم يا سيد بروكتور هل دخلت فى زمرة الشيطان .. ؟

ريبكا « مندهشة » جون ..

بروكتور « من خلال أسنانه ووجهه للحائط » نعم .

دانفورث أرأيت ياامرأة كيف لن يفيدك شيئاً أن تكتمى هذه المؤامرة أكثر من ذلك ؟ أتعترفين معه . ؟

ريبكا جون .. أوه . ليرحمك الله ..

دانفورث والآن هل تعترفين على نفسك ؟

ريبكا إنه يكذب . كيف أفعل فعله ؟ لا أستطيع . لا أستطيع ..

دانفورث ياسيد بروكتور . عندما جاءك الشيطان هل كنت ترى ربيكا نيرس معه ؟ (يبقى بروكتور صامتا) هيا يا رجل وتشجع . هل كنت تراها معه ؟

بروكتور (بصوت لا يكاد يسمع) لا ..

دانفورث (يدرك أن المتاعب قد بدأت . ينظر إلى جون ويذهب إلى المائدة ويلتقط ورقة قائمة المدانين) .

دانفورث هل تصادف أن رأيت معه اختها مارى ايستى ؟

بروكتور لم أرها .

دانفورث (تضيق عيناه وهو ينظر إلى بروكتور) هل رأيت مارتا كورى مع الشيطان ؟ .

بروكتور لا .

دانفورث (يدرك فيضع الورقة ببطء) هل رأيت أحداً مع الشيطان ؟ !

بروكتور لا .

دانفورث أنت تخطىء فهمى يابروكتور . أتريد أن أفرج عنك نظير كذبة ؟ لا بد أن شاهدت شخصا ما مع الشيطان ؟ (بروكتور صامتا) ياسيد بروكتور . هناك أربعة شهود أقروا أنهم رأوا هذه المرأة فى صحبة الشيطان ..

بروكتور إذن فلماذا تريدون منى أن أؤكد لكم ما تحققتم منه بأنفسكم ؟

دانفورث لماذا نريد منك أن تؤكد !! كان يجب أن يسر قلبك وينشرح صدرك لما تقول إذا كانت روحك قد تطهرت حقيقة من ذلك الرجس ؟

بروكتور إنهم يريدون أن يموتوا شهداء كالقديسين ولست أحب أن أسيء إلى سمعتهم . .

دانفورث (مستفسرا غير مصدق) هل تعتقد أنهم يموتون شهدا. كالقديسين ياسيد بروكتور ؟

بروكتور (زائغا) هذه المرأة لم تعترف باتباعها الشيطان . .

دانفورث اسمع ياسيدى . إنك تسيء فهم واجبك هنا . لا يهمنا فى قليل أو كثير اعترافها بعدم اتباعها للشيطان . إنها أدينت بالعمل على قتل الأطفال وأنت مدان بالسحر لمارى وارين . اهتم بنفسك ياسيد وحاول أن تطهر روحك لكى تعيش بين الناس الأطهار فهل تطلعنى الآن على من كانوا يتآمرون معك ويغويهم الشيطان ؟ (بروكتور صامتا) هل كنت تعلم أن ربيكا نيرس —

بروكتور أنا أعترف بآثامى وحدى . . . أنا لا أعرف شيئا عن الغير . (يصيح فى كراهية) لن يلطخ لسانى الآخرين . .

هال (بسرعة لدانفورث) يكفى ياصاحب الفخامة اعترافه على نفسه . فليوقع عليه ويكفى توقيعه .

باريس يكفى اسمه ياسيدى . . إن الناس تعرفه وتقدره . سيدهش اسمه الناس وسيدهش القرية اعترافه . ارجوك دعه يوقع بإمضائه فالشمس قد طلعت ياصاحب الفخامة .

دانفورث (يفكر ثم يقول فى غير رضى) إذن هيا ووقع على إقرارك (إلى شيفر) اعطه له . . (يذهب شيفر إلى بروكتور . الاعتراف والريشة فى يده . بروكتور لا ينظر إليه) هيا يا رجل وقع . .

بروكتور (بعد أن ينظر إلى الاعتراف) لقد شهدتم اعترافى وهذا يكفى . .

دانفورث ألن توقعه ؟

بروكتور لقد سمعتمونى كلكم أعترف . فماذا تريدون أكثر من ذلك ؟

دانفورث أتسخر مى ؟ إن لم توقع فلن أعتبره اعترافا يا سيدى (صدره يلهث فى ألم . يضع الورقة على المائدة ثم يوقع) .

باريس ليتبارك الرب .

(مايكاد بروكتور يوقع حتى يمد دانفورث يده إلى الورقة ولكن بروكتور يخطفها وقد ملأه الذعر والغضب اللانهائيان) .

لا . . .

دانفورث (حائراً ولكنه يمد يده إليه فى أدب) من فضلك يا سيدى ..

بروكتور لا .

دانفورث (كما لو أن بروكتور لم يفهم) يا سيد بروكتور . يجب أن ..

بروكتور لقد وقعتها ورأيتنى وأنا أوقعها . كنى لا حاجة بك إلى الورقة ..

باريس يجب يا بروكتور أن نثبت للقرية أن ..

بروكتور اللعنة على القرية !! لقد اعترفت لله ، ولقد رآنى الله أوقع . فى هذا الكفاية .

دانفورث لا يا سيدى هذا لا . .

بروكتور لقد جئت لكى تنقذنى من حبل المشنقة ولتنقذ روحى من الشيطان أليس كذلك ؟ ولقد فعلت واعترفت وفى هذا الكفاية ..

دانفورث ولكنك لم تعترف . .

بروكتور بل اعترفت . ألا تكون التوبة توبة إلا إذا كانت علنية ؟ إن الله لا يحتاج إلى تعليق اسمى فوق باب الكنيسة لكى يعرف أنى تبت إليه . إنه يرى اسمى وهو يعرف كم أذنبت . . كنى . . كنى

دانفورث يا سيد بروكتور ..

بروكتور إنك لن تستغلنى . أنا لست سارة جود أو تيتوبا . أنا جون بروكتور . لن أسمح لك باستغلال اسمى . . . إن تطهير الروح لا يعنى استغلال اسمى . .)

دانفورث أنا لم أعن أن . . .

بروكتور لدى ثلاثة أطفال . كيف يتسنى لى أن أعلمهم أن يشقوا طريقهم فى الحياة كرجال إذا أنا بعت أصدقائى .

دانفورث إنك لم تبع أصدقاءك . .

بروكتور لا تخدعني . إنني أشوه سمعتهم كلهم عندما تعلق هذا الاعتراف على باب الكنيسة في الوقت الذي يصرون فيه على الصمت حتى الشنق .

دانفورث يجب يا سيد بروكتور أن يكون لدى الدليل القانوني على أنك . . .

بروكتور إنك تمثل أعلى محكمة وكلمتك فيها الكفاية . اذكر لهم أني اعترفت قل إن بروكتور خر على ركبتيه وبكى كالمرأة . قل ما تشاء ولكن اسمي لا يمكن أن . . .

دانفورث (في شك) أتعتبر الحكاية واحدة في الحالتين ؟ هيه ؟ ! سواء ذكرت لهم ذلك بنفسي أو وقعت عليه أنت نفسك ؟

دانفورث بالطبع لا يمكن أن تكون الحكاية واحدة في الحالتين . ما يمكن أن يقوله الآخرون وما أوقع عليه أنا بنفسي لا يمكن أن يكون هو نفس الشيء . .

دانفورث إذن فأنت تريد أن تنكر هذا الاعتراف عندما نطلق سراحك ؟

بروكتور أنا لا أريد أن أنكر شيئاً .

دانفورث إذن فاشرح لي يا سيد بروكتور لماذا ترفض أن . .

بروكتور (بصيحة من كل روحه) لأنه اسمي . لأني لن يكون لي اسم آخر في حياتي ، لأني أكذب وأوقع على أكاذيب . لأني لا أساوي التراب العالق بأقدام الذين يشنقون . كيف يمكنني أن أعيش بلا اسمي ؟ لقد بعت لك روحي فاترك لي اسمي . .

دانفورث (يشير إلى الاعتراف في يد بروكتور) هل هذه الوثيقة أكذوبة ؟ وإذا كنت تعتقد أنها أكذوبة فلن أقبل أكاذيب . فلماذا لا تتكلم أنا لا أقبل أكاذيب يا سيد . . .

(بروكتور لا يتحرك) إما أن تعطيني اعترافك الصادق في يدي أو لن أنقذك من حبل المشنقة (بروكتور لا يجيب) أي الطريقين تختار يا سيد ؟

(صدره يعلو ويهبط وعيناه تحملقان يرفع بروكتور الورقة ويمزقها ويفركها ويبكي في غضب ولكنه مرفوع الرأس) .

دانفورث مارشال . . .

باريس (بجنون كما لو كانت الورقة الممزقة حياته) بروكتور . بروكتور !!

هال أيها الرجل ستشنق . كيف تقبل أن تشنق !!

بروكتور (عيناه ملؤهما الدموع) بل أقبل . وهاهى معجزتك الأولى إنى أقبل أن أشنق ، لقد أفلح سحرك الآن .. لأنى أرى بالفعل خيطا رفيعا من الطيبة فى جون بروكتور خيطا لايكفى لنسج علم ولكن بياضه أنصع من أن تدنسه كلاب مثلكم (اليزابيث فى موجة فزع)

اليزابيث (تندفع إليه وتبكى على يده) لاتظهر لهم دموعك .. إن الدموع تبهجهم ارفع رأسك وجمد قلبك وخيب أملهم فيك (يرفعها وهو يقبلها الآن بعنف)

ربيكا لاتخف شيئا .. إننا سنلتقى كلنا يوم الحساب ..

دانفورث اشنقهم على أعلى صارية فى المدينة . من يبكى على هؤلاء المفسدين الأشرار فهو منهم مفسد شرير (يندفع أمامهم ، يبدأ هيريك فى دفع ربيكا التى تكاد تنهار ولكن بروكتور يمسكها فتنظر اليه باعتذار)

ربيكا لم أتناول إفطارا ..

هيريك هيا يارجل .

(هيريك يحرسهم إلى الخارج . هاثورن وشيفر خلفهم . تقف اليزابيث محملقه فى فتحة الباب الخالية)

باريس (فى خوف مميت إلى اليزابيث) اذهبى إليه ياجودى بروكتور . مازال هناك وقت !! (من الخارج يندلع صوت طبلة . باريس يفاجأ . اليزابيث تجرى منهارة إلى النافذة)

باريس اذهبى إليه (يندفع من الباب كما لو كان يحاول أن يوقف قدره) بروكتور . بروكتور . (مرة أخرى ضربات الطبلة)

هال امنعيه ياامرأة . (يبدأ فى الاندفاع إلى الباب ولكنه يعود إليها) إنه الكبر ياامرأة . إنه الغرور (تتجنب عينيه وتتحرك إلى النافذة .

يسقط هو على ركبتيه) أستحلفك أن تساعديه ! ماذا يفيده الشنق ؟
هل سيمدحه التراب ؟ هل ستعلن الديدان أنه على حق ؟ اذهبي إليه
وذودي عنه إحساسه بالعار !

الزابيت (تسند نفسها خوف الانهيـــار وتمسك قضبان النافذة وتقول
في صراخ) استشهد الآن وانتصر على نفسه . كتب اسمه ضمن
الأبرار وشاء الله أن لا أحد له ..

تعوى الضربات الأخيرة للطبلة وترتفع في عنف . هال يبكى
في صلاة محمومة والشمس الجديدة تصب شعاعاتها على وجهه
والطبول تشخشخ كالعظام في جو الصباح)

انتهت

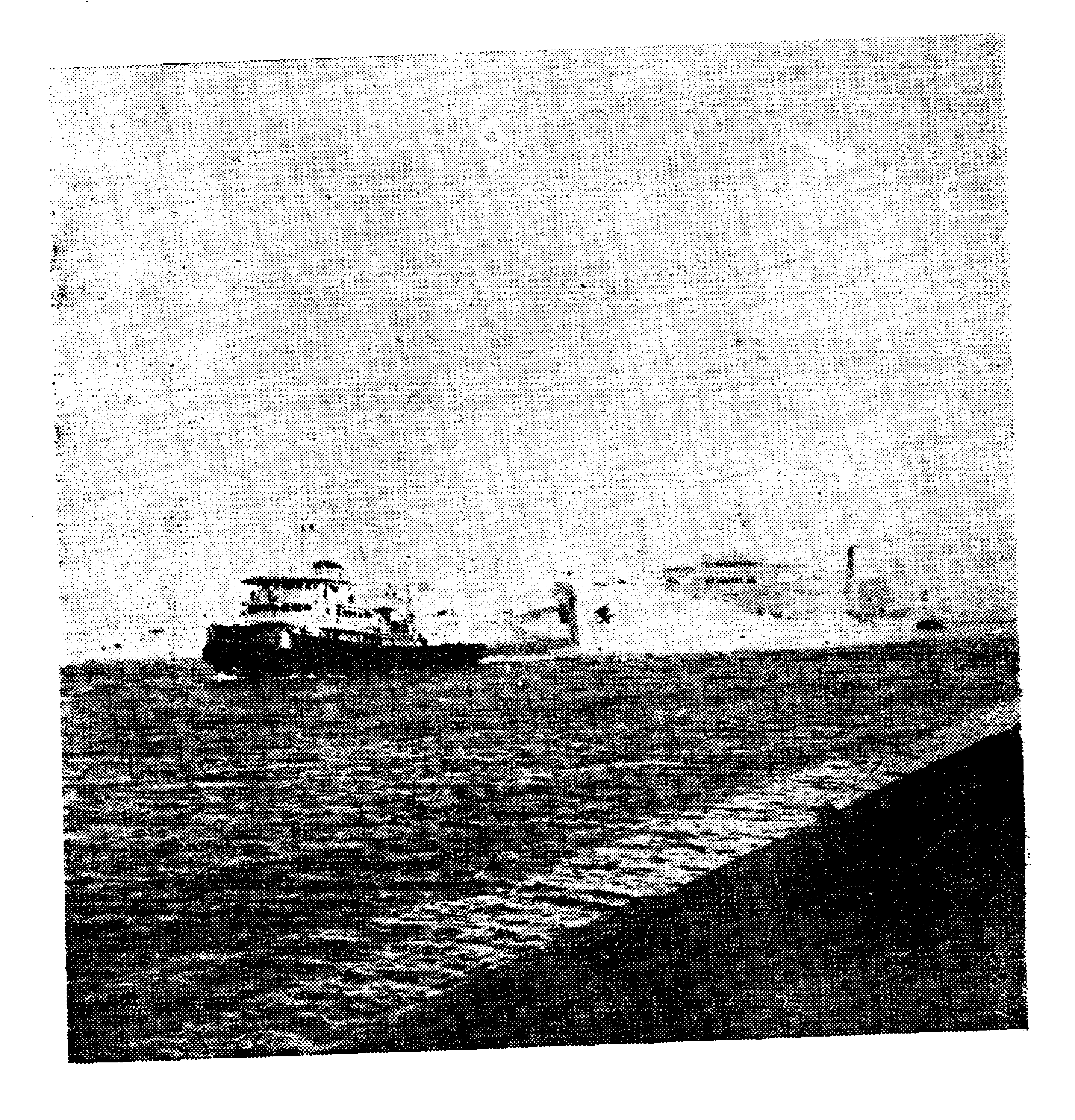

أروع
ما أنتجته
مصانع
شركة النصر
للتليفزيون
على أحدث
طراز عالمى
١٩
بوصة

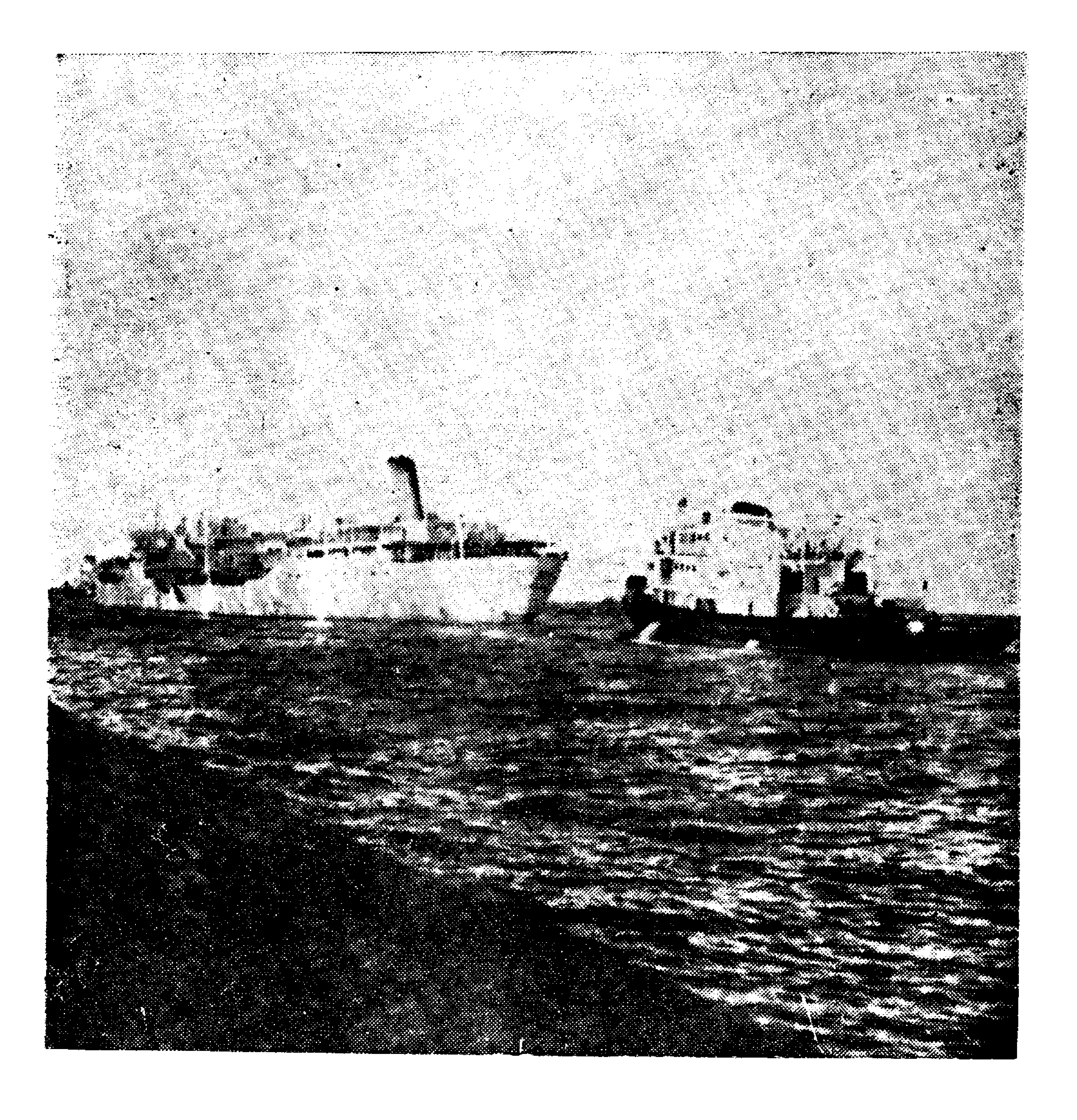
هيئة قناة السـويس

من أنباء القناة

٢٤ أكتوبر سنة ١٩٦١

عبرت القناة اليوم من الجنوب الى الشـمال ناقلة البترول الليبيرية « أوليمبيك ايجل » قادمة من ميـناء الاحمدى ومتجهة الى ايطاليا . ونظرا لوجود عطل بآلاتها فقد عبرت مقطورة من الامام بالقاطرة (عنتر) ومربوطة من الخلف بالقاطرة (شهم) .





هذا وتبلغ حمــولتها القصــــوى ٤٦١٩١ طنا ويبلغ طولها ٧٠٨ أقدام
وعرضـها ١٠٢ قدم وغاطســـها ٣٧ قدما .

أما شحنتها من البترول فى هــــذه الرحلة فقد بلغت ٤٣٠٤٦ طنا .

الدار القومية للطباعة والنشر
١٥٧ شـــارع عبيـــد ـ روض الفرج
تليفون ٤٥٣٤٦ ـ ٤٥٤٠٥ ـ ٣١٦٢٥

الكتاب الماسي
قصص عربية

تقدم

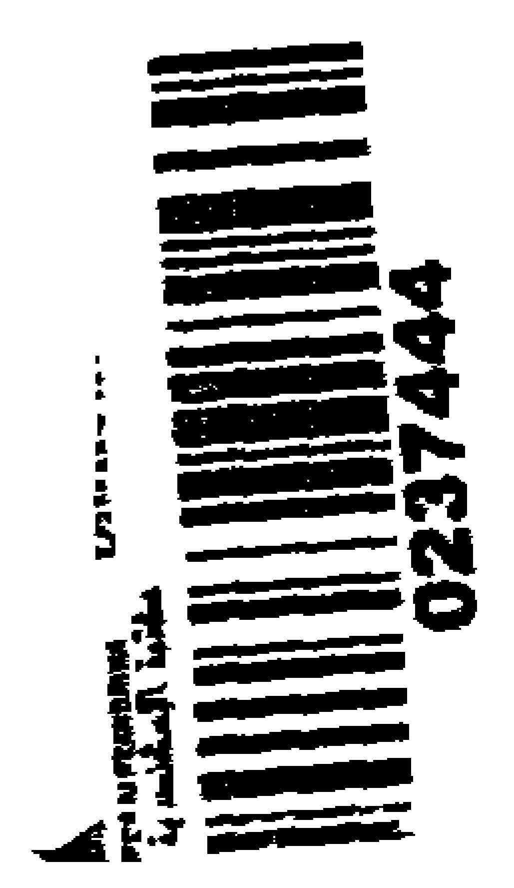
الناصر صلاح الدين

تاريخ ما أهمله التاريخ «٣»

حبيب جاماتي



١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج
تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥



العدد ١٤٠ الثمن ١٨ قرشا